

## سورة الرحمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مكية كلها في قول الحسن وعروة بن الزبير وعكرمة وعطاء وجابر<sup>(١)</sup>. وقال ابن عباس: إلا آية منها هي قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الرحمن: ٢٩] الآية. وهي ست وسبعون آية. وقال ابن مسعود ومقاتل: هي مدنية كلها. والقول الأول أصح لما روى عروة بن الزبير قال: أول من جهر بالقرآن بمكة بعد النبي ﷺ ابن مسعود؛ وذلك أن الصحابة قالوا: ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر به قط، فمن رجل يسمعه هو؟ فقال ابن مسعود: أنا، فقالوا: إنا نخشى عليك، وإنما نريد رجلا له عشيرة يمينونه، فأبى ثم قام عند المقام فقال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الرَّحْمَنُ﴾ ① عَلمَ الْقُرْآنَ ② ﴿[الرحمن] ثم تمادى رافعا بها صوته وقريش في أُنديتها، فتأملوا وقالوا: ما يقول ابن أم عبد؟ قالوا: هو يقول الذي يزعم محمد أنه أنزل عليه، ثم ضربه حتى أثروا في وجهه<sup>(٢)</sup>.

وصح أن النبي ﷺ قام يصلي الصبح بنخلة، فقرأ سورة الرحمن ومر النفر من الجن فأمنوا به<sup>(٣)</sup>. وفي الترمذي عن جابر قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم «سورة الرحمن» من أولها إلى آخرها فسكتوا، فقال: «قد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم كنت كلما أتيت على قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد» قال: هذا حديث غريب<sup>(٤)</sup>.

وفي هذا دليل على أنها مكية، والله أعلم. وروي أن قيس بن عاصم المنقري قال للنبي ﷺ: اتل علي مما أنزل عليك، فقرأ عليه سورة «الرحمن» فقال: أعدها، فأعادها ثلاثا، فقال: والله إن له لطلاوة، وإن عليه لحلاوة، وإن أسفله لمغدق، وأعلىه مثمر، وما يقول هذا بشر، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله. وروي عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لكل شيء عروس، وعروس القرآن سورة الرحمن»<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: الدر المنثور (٦/ ١٨٩) للسيوطي.

(٢) فيه انقطاع: بين عروة بن الزبير وابن مسعود، وانظر: فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (٢/ ٨٣٧)، والطبري في تاريخه (١/ ٥٤٩)، ابن هشام (٢/ ١٥٦) في سيرته من طريق ابن إسحاق مصرحاً بالتحديث فيه.

(٣) سيأتي تخريجه.

(٤) غريب: الترمذي (٣٢٩١) في تفسير القرآن، وحسنه الألباني، وانظر: الصحيحة (٢١٥٠).

(٥) موضوع: البيهقي في شعب الإيمان عن علي - رضي الله عنه (٢/ ٤٩٠) برقم (٢٤٩٤)، وقد ضعفه الألباني (٤٧٢٩) في الضعيفة، وفي فيض القدير (٥/ ٢٨٦) قال المناوي: «فيه علي بن الحسن دبس، عده الذهبي في الضعفاء والمتروكين، وقال الدارقطني: ليس بثقة».

﴿الرَّحْمَنُ﴾ ١ ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ ٢ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ ٣ ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ ٤ ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ ٥  
 وَالتَّجْرُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ٦ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ٧ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ٨ وَأَقِيمُوا  
 الْوِزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ٩ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ١٠ فِيهَا فَكَّهُمَّةٌ وَالتَّلْخُفُ ذَاتُ  
 الْأَكْمَامِ ١١ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ١٢ فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٣ ﴿

قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ ١ ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ قال سعيد بن جبير وعامر الشعبي ﴿الرَّحْمَنُ﴾ فاتحة ثلاث سور إذا جمعن كن اسما من أسماء الله تعالى: ﴿الر﴾ و﴿حم﴾ و﴿ن﴾ فيكون مجموع هذه «الرحمن» (١). ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ أي علمه نبيه ﷺ حتى أداه إلى جميع الناس. وأنزلت حين قالوا: وما الرحمن؟ وقيل: نزلت جوابا لأهل مكة حين قالوا: إنما يعلمه بشر وهو رحمن اليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب، فأنزل الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ ١ ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ (٢). وقال الزجاج: معنى ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ أي سهله لأن يذكر ويقرأ كما قال: ﴿وَلَقَدْ يَسْرُنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر: ١٧]. وقيل: جعله علامة لما تعبد الناس به. ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ قال ابن عباس وقتادة والحسن: يعني آدم عليه السلام (٣). ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ أسماء كل شيء. وقيل: علمه اللغات كلها. وعن ابن عباس أيضا وابن كيسان: الإنسان ها هنا يراد به محمد ﷺ، والبيان بيان الحلال من الحرام، والهدى من الضلال (٤). وقيل: ما كان وما يكون، لأنه بين عن الأولين والآخرين ويوم الدين. وقال الضحاك: ﴿الْبَيَانَ﴾ الخير والشر (٥). وقال الربيع بن أنس: هو ما ينفعه وما يضره (٦)، وقاله قتادة (٧). وقيل: ﴿الْإِنْسَانَ﴾ يراد به جميع الناس فهو اسم للجنس و﴿الْبَيَانَ﴾ على هذا الكلام والفهم، وهو مما فضل به الإنسان على سائر الحيوان. وقال السدي: علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به. وقال يمان: الكتابة والخط بالقلم. نظيره. ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ ٤ ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥]. ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ أي يجريان بحساب معلوم فأضمر الخير. قال ابن عباس وقتادة وأبو مالك: أي يجريان بحساب في منازل لا يعدوانها ولا يحيدان عنها (٨). وقال ابن زيد وابن كيسان: يعني أن بهما تحسب الأوقات والآجال والأعمار، ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر أحد كيف يحسب شيئا لو كان الدهر كله ليلاً أو نهاراً. وقال السدي: ﴿بِحُسْبَانٍ﴾ تقدير آجالهما أي تجري بآجال كآجال الناس، فإذا جاء أجلهما هلكا (٩).

(١) رأى ضعيف: ذكره الماوردي (٤/ ٢٠٦) في النكت والعيون، ولا سند له.

(٢) معضل: ذكره البغوي في تفسيره بلا سند (٧/ ٤٣٨)، وعزه ابن الجوزي في زاد المسير لمقاتل (٥/ ٤٥٩).

(٣) صحيح إلى قتادة: الطبري (٢٧/ ١٢٠) في تفسيره، ورواه ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٥٩).

(٤) زاد المسير (٥/ ٤٥٩) لابن الجوزي وعزه لابن كيسان، والبغوي (٧/ ٤٣٨) في تفسيره.

(٥ - ٧) الشوكاني في فتح القدير (٧/ ١٠٠).

(٨) ضعيف: إلى ابن عباس وهو محتمل للتحسين: من طريقين:

الأول: عن عكرمة وفيه سماك، وروايته عن عكرمة فيها اضطراب.

الثاني: من طريق العوفيين وهو إسناد واه، ورواه الحاكم وصححه من الطريق الأول، وهو صحيح إلى قتادة،

وأبي مالك، وانظر: الطبري (٢٧/ ١٢١) في تفسيره.

(٩) فتح القدير (٧/ ١٠٠) للشوكاني بمعناه.

نظيره: ﴿كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٥]. وقال الضحاك: بقدر<sup>(١)</sup>. مجاهد: ﴿يَحْسَبَانِ﴾ كحسبان الرحي يعني قطبها يدوران في مثل القطب<sup>(٢)</sup>. والحسبان قد يكون مصدر حسبه أحسبه بالضم حسباً وحسباناً، مثل الغفران والكفران والرُّجحان، وحسابه أيضاً أي عدته. وقال الأخفش: ويكون جماعة الحساب مثل شهاب وشهبان. والحسبان أيضاً بالضم العذاب والسهام القصار، وقد مضى في «الكهف»<sup>(٣)</sup> الواحدة حسبانة، والحسبانة أيضاً الوسادة الصغيرة، تقول منه: حسبته إذا وسدته، قال [نهيك الفزاري]:

مران أو لثويت غير مُحسَّب

أي غير موسَّد يعني غير مكرم ولا مكفَّن ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ قال ابن عباس وغيره: النجم: ما لا ساق له، والشجر ما له ساق، وأنشد ابن عباس قول صفوان بن أسد التيمي:

لَقَدْ أَنْجَمَ الْفَأَعُ الْكَبِيرُ عِضَاهَهُ وَتَمَّ بِهِ حَيَا تَمِيمٍ وَوَأْتَلِ

وقال زهير بن أبي سلمى:

مُكَلَّلٌ بِأَصُولِ النَّجْمِ تَنْسِجُهُ رِيحُ الْجَنُوبِ لِضَاحِي مَاتِهِ حُبُّكَ

واشتقاق النجم من نجم الشيء ينجم بالضم نجوماً ظهر وطلع، وسجودهما بسجود ظلالهما، قاله الضحاك<sup>(٤)</sup>. وقال الفراء: سجودهما أنهما يستقبلان الشمس إذا طلعت ثم يميلان معها حتى ينكسر الفيء. وقال الزجاج: سجودهما دوران الظل معهما، كما قال تعالى: ﴿يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ﴾ [النحل: ٤٨]. وقال الحسن ومجاهد: النجم نجم السماء، وسجوده - في قول مجاهد - دوران ظله<sup>(٥)</sup>، وهو اختيار الطبري، حكاه المهدوي. وقيل: سجود النجم أفوله، وسجود الشجر إمكان الاجتناء لشفرها، حكاه الماوردي. وقيل: إن جميع ذلك مسخر لله، فلا تعبدوا النجم كما عبد قوم من الصابئين النجوم، وعبد كثير من العجم الشجر. والسجود الخضوع، والمعنى به آثار الحدوث، حكاه القشيري. النحاس: أصل السجود في اللغة الاستسلام والانقياد لله عز وجل، فهو من الموات كلها استسلامها لأمر الله عز وجل وانقيادها له، ومن الحيوان كذلك ويكون من سجود الصلاة، وأنشد محمد بن يزيد في النجم بمعنى النجوم قال:

فَبَاتَتْ تُعَدُّ النَّجْمَ فِي مَسْتَحِيرَةٍ سَرِيعَ بِأَيْدِي الْأَكْلِينَ جُمُودَهَا

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾ وقرأ أبو السمال «وَالسَّمَاءَ» بالرفع على الابتداء واختيار ذلك لما عطف على الجملة التي هي: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ فجعل المعطوف مركباً من مبتدأ وخبر كالمعطوف عليه. الباقون بالنصب على إضمار فعل يدل عليه ما بعده. ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ أي العدل، عن مجاهد وقتادة والسدي<sup>(٦)</sup>، أي وضع في الأرض العدل الذي أمر به، يقال: وضع الله الشريعة.

(١) حسن: الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٢٢).

(٢) صحيح: السابق (٢٧/ ١٢٢).

(٣) عند الآية (٤٠).

(٤) تفسير البغوي (٧/ ٤٤٢).

(٥) صحيح إلى مجاهد: الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٢٣).

(٦) صحيح إلى مجاهد وقتادة: الطبري (٢٧/ ١٢٤، ١٢٥) في تفسيره، وأثر السدي عند ابن الجوزي في زاد المسير

ووضع فلان كذا أي ألقاه، وقيل: على هذا الميزان القرآن، لأن فيه بيان ما يحتاج إليه وهو قول الحسين بن الفضل<sup>(١)</sup>. وقال الحسن وقتادة - أيضا - والضحاك: هو الميزان ذو اللسان الذي يوزن به ليتصفه به الناس بعضهم من بعض<sup>(٢)</sup>، وهو خير بمعنى الأمر بالعدل، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ والقسط العدل. وقيل: هو الحكم. وقيل: أراد وضع الميزان في الآخرة لوزن الأعمال. وأصل ميزان موزان، وقد مضى في «الأعراف» القول فيه<sup>(٣)</sup>. ﴿أَلَا تَطْفَؤْا فِي الْمِيزَانِ﴾ موضع «أن» يجوز أن يكون نصبا على تقدير حذف حرف الجر كأنه قال: لئلا تطفؤوا، كقوله تعالى: ﴿يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضَلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦] ويجوز ألا يكون له «أن» موضع من الإعراب فتكون بمعنى أي و«تطفؤا» على هذا التقدير مجزوما، كقوله تعالى: ﴿وَأَنْطَلِقُ الْمَلَائِكَةُ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا﴾ [ص: ٦] أي أمشوا. والطغيان مجاوزة الحد. فمن قال: الميزان العدل قال: طغيانه الجور. ومن قال: إنه الميزان الذي يوزن به قال: طغيانه البخس. قال ابن عباس: أي لا تخونوا من وزنتم له. وعنه أنه قال: يا معشر الموالي! وليتم أمرين بهما هلك الناس: المكيال والميزان<sup>(٤)</sup>. ومن قال: إنه الحكم قال: طغيانه التحريف. وقيل: فيه إضمار، أي وضع الميزان وأمركم ألا تطفؤوا فيه. ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ أي اعملوه مستقيما بالعدل. وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: أقيموا لسان الميزان بالقسط والعدل<sup>(٥)</sup>. وقال ابن عيينة: الإقامة باليد والقسط بالقلب<sup>(٦)</sup>. وقال مجاهد: القسط العدل بالرومية<sup>(٧)</sup>. وقيل: هو كقولك: أقام الصلاة أي أتى بها في وقتها، وأقام الناس أسواقهم أي أتوها لوقتها. أي لا تدعوا التعامل بالوزن بالعدل. ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ ولا تنقصوا الميزان ولا تبخسوا الكيل والوزن، وهذا كقوله: ﴿وَلَا تَقْصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ [هود: ٨٤] وقال قتادة في هذه الآية: اعدل يا بن آدم كما تحب أن يعدل لك، وأوف كما تحب أن يوفى لك، فإن العدل صلاح الناس<sup>(٨)</sup>. وقيل: المعنى ولا تخسروا ميزان حسناتكم يوم القيامة فيكون ذلك حسرة عليكم. وكرر الميزان لحال رؤوس الآي. وقيل: التكرير للأمر بإيفاء الوزن ورعاية العدل فيه. وقراءة العامة «تُخْسِرُوا» بضم التاء وكسر السين. وقرأ بلال بن أبي بردة وأبان عن عثمان «تَخْسِرُوا» بفتح التاء والسين وهما لغتان، يقال: أخسرت الميزان وخسرته كأجبرته وجبرته. وقيل: «تَخْسِرُوا» بفتح التاء والسين محمول على تقدير حذف حرف الجر، والمعنى ولا تخسروا في الميزان. ﴿وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ الأنام: الناس<sup>(٩)</sup>، عن ابن عباس. الحسن: الجن

(١) زاد المسير (٥/ ٤٥٩) لابن الجوزي. قلت: وهذا بعيد.

(٢) رواه ابن المنذر، عن مجاهد كما في الدر المنثور (٦/ ١٩١) للسيوطي. وذكرها البغوي في تفسيره (٧/ ٤٤٢).

(٣) عند الآيتين (٨، ٩) من سورة الأعراف.

(٤) فيه نظر: فقد رواه قتادة، عن ابن عباس، وفي الساعة منه نظر، وانظر: الطبري (٢٧/ ١٢٤، ١٢٥) في تفسيره.

(٥) رواه البغوي في تفسيره (٧/ ٤٤٢).

(٦) لم أجده فيما بين يدي من مصادر.

(٨) صحیح إلى قتادة: الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٢٤).

(٩) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٩) من طريق عكرمة ولم يذكر له سنداً.

والإنس (١). الضحاك: كل ما دب على وجه الأرض (٢)، وهذا عام.

قوله تعالى: ﴿فِيهَا فَآكِهَةٌ﴾ أي كل ما يتفكه به الإنسان من ألوان الثمار. ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾  
الأكمام جمع كم بالكسر. قال الجوهري: والكمة بالكسر والكمامة وعاء الطلع وغطاء النور والجمع  
كمام وأكمة وأكمام والأكاميم أيضا. وكُم الفصيل إذا أشفق عليه فستر حتى يقوى، قال العجاج:

بَلْ لَوْ شَهِدَتِ النَّاسَ إِذْ تُكْمُوا      بَغْمَةً لَوْ لَمْ تُفْرَجْ غُمُوا

وتكُموا أي أغمي عليهم وغطوا. وأكمت النخلة وكممت أي أخرجت أكمامها. والكمام بالكسر  
والكمامة أيضا ما يكُم به فم البعير لثلا يعض، تقول منه: يعير مكوم أي محجوم. وكممت الشيء  
غطيته. والكمُّ: ما ستر شيئا وغطاه، ومنه كُم القميص بالضم والجمع أكمام وكممة، مثل حُب  
وحبية. والكمة القلنسوة المدورة، لأنها تغطي الرأس. قال:

فَقَلْتُ لَهُمْ كَيْلُو بِكُمَّةٍ بَعْضِكُمْ      دَرَاهِمِكُمْ إِنِّي كَذَلِكَ أَكَيْلٌ

قال الحسن: ﴿ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ أي ذات الليف فإن النخلة قد تكم بالليف، وكمامها ليفها الذي في  
أعناقها (٣). ابن زيد: ذات الطلع قبل أن يتفتق (٤). وقال عكرمة: ذات الأحمال (٥). ﴿وَالْحَبُّ ذُو  
العَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ الحب: الحنطة والشعير ونحوهما، والعصف التبن، عن الحسن وغيره (٦). مجاهد:  
ورق الشجر والزرع (٧). ابن عباس: تبن الزرع وورقه الذي تعصفه الرياح (٨). سعيد بن جبیر: بقل  
الزرع أي أول ما ينبت منه (٩)، وقاله الفراء. والعرب تقول: خرجنا نعصف الزرع إذا قطعوا منه قبل أن  
يدرك. وكذا في الصحاح: وعصفت الزرع أي جززته قبل أن يدرك. وعن ابن عباس أيضا: العصف  
ورق الزرع الأخضر إذا قطع رؤوسه ويس، نظيره: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٥]. الجوهري: وقد  
أعصف الزرع، ومكان معصف أي كثير الزرع. قال أبو قيس بن الأسلت الأنصاري:

إِذَا جُمَادَى مَنَعَتْ قَطْرَهَا      زَانَ جَنَابِي عَطَنَ مُعْصِفٌ

والعصف أيضا الكسب، ومنه قول الراجز:

بغیر ما عَصِفَ ولا اصْطَرَّافَ

وكذلك الاعتصاف. والعصيفة: الورق المجتمع الذي يكون فيه السنبل. وقال الهروي:  
والعصف والعصيفة ورق السنبل. وحكى الثعلبي: وقال ابن السكيت: تقول العرب لورق الزرع:  
العصف والعصيفة والجل بكسر الجيم. قال علقمة بن عبدة:

(١) انظر: زاد المسير (٥/٤٩١) لابن الجوزي، والطبري (٢٧/١٢٦) في تفسيره.

(٢) صحيح إلى الحسن: رواه الطبري (٢٧/١٢٦) في تفسيره، عن ابن عباس من طريق العوفيين.

(٣) حسن: الطبري في تفسيره (٢٧/١٢٦).

(٤) حسن: السابق (٢٧/١٢٧).

(٥) الشوكاني (٧/١٠٢) في فتح القدير.

(٦) انظر السابق (٧/١٠٢)، والبخاري في تفسيره (٧/٤٤٣).

(٧) كذا في زاد المسير (٥/٤٦٠) لابن الجوزي.

(٨) ضعيف: الطبري (٢٧/١٢٧) في تفسيره من طريق العوفيين.

(٩) حسن: السابق (٢٧/١٢٧)، زاد المسير (٥/٤٦٠) لابن الجوزي.

تَسْقِي مَذَانِبَ قَد مَالَتْ عَصِيفَتُهَا حَدُّوْهَا مِنْ أَيْبِي الْمَاءِ مَطْمُومٌ

وفي الصحاح: والجِلل بالكسر قصب الزرع إذا حصد. والريحان الرزق، عن ابن عباس ومجاهد<sup>(١)</sup>. الضحاك: هي لغة حمير<sup>(٢)</sup>. وعن ابن عباس أيضا والضحاك وقتادة: أنه الريحان الذي يشم<sup>(٣)</sup>، وقاله ابن زيد<sup>(٤)</sup>. وعن ابن عباس أيضا: أنه خضرة الزرع<sup>(٥)</sup>. وقال سعيد بن جبير: هو ما قام على ساق<sup>(٦)</sup>. وقال الفراء: العصف: المأكول من الزرع، والريحان ما لا يؤكل. وقال الكلبي: إن العصف الورق الذي لا يؤكل، والريحان هو الحب المأكول. وقيل: الريحان كل بقلة طيبة الريح سميت ريحانا، لأن الإنسان يراح لها رائحة طيبة. أي يشم فهو فعلان روحان من الرائحة، وأصل الياء في الكلمة واو قلب ياء للفرق بينه وبين الروحاني وهو كل شيء له روح. قال ابن الأعرابي: يقال شيء روحاني وريحاني أي له روح. ويجوز أن يكون على وزن فيعلان فأصله ريوحان فأبدل من الواو ياء وأدغم كهين ولين، ثم ألزم التخفيف لطول والحاق الزائدتين الألف والنون، والأصل فيما يتركب من الراء والواو والحاء الاهتزاز والحركة. وفي الصحاح: والريحان نبت معروف، والريحان الرزق، تقول: خرجت أبتغي ريحان الله، قال النمر بن توبل:

سَلَامُ الْإِلَهِ وَرِيحَانُهُ وَرَحْمَتُهُ وَسَمَاءُ دَرَرٍ

وفي الحديث: «الولد من ريحان الله»<sup>(٧)</sup>. وقولهم: سبجان الله وريحانته، نصبوهما على المصدر يريدون تنزيها له واسترزاقا. وأما قوله: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ فالعصف ساق الزرع، والريحان ورقه، عن الفراء. وقراءة العامة: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ بالرفع فيها كلها على العطف على الفاكهة. ونصبها كلها ابن عامر وأبو حيوة والمغيرة عطفًا على الأرض<sup>(٨)</sup>. وقيل: بإضمار فعل، أي وخلق الحب ذا العصف والريحان، فمن هذا الوجه يحسن الوقف على ﴿ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾. وجر حمزة والكسائي: «الريحان»<sup>(٩)</sup> عطفًا على العصف، أي فيها الحب ذو العصف والريحان، ولا يمتنع ذلك على قول من جعل الريحان الرزق، فيكون كأنه قال: والحب ذو الرزق. والرزق من حيث كان العصف رزقا، لأن العصف رزق للبهائم، والريحان رزق للناس، ولا شبهة فيه في قول من قال: إنه الريحان المشموم.

قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ خطاب للإنس والجن، لأن الأنام واقع عليهما. وهذا قول

(١) ضعيف إلى ابن عباس: فيه عتبة بن يقظان هو ضعيف، وفيه عامر بن مدرك ضعيف، كما في التقريب (٣١٠٨) (٤٤٤٤).

(٢) زاد المسير (٥/ ٤٦٠) لابن الجوزي بنحوه.

(٣) ضعيف إلى ابن عباس: زاد المسير (٥/ ٤٦٠) لابن الجوزي من طريق العوفيين، وذكره الطبري (٢٧/ ١٢٨)، في تفسيره.

(٤) حسن: الطبري (٢٧/ ١٢٩).

(٥) منقطع: بين علي بن أبي طلحة، وابن عباس - رضي الله عنهما - كما في تفسير الطبري (٢٧/ ١٢٩).

(٦) حسن: الطبري (٢٧/ ١٢٩) في تفسيره.

(٧) ضعيف: الترمذي في البر والصلة عن خولة بنت حكيم (١٩١٠)، والبيهقي (١٠/ ٢٠٢) في الكبرى،

وضعه الألباني (٦١٦٦) في ضعيف الجامع. وفيه «من ريحان الجنة» بدلا من «ريحان الله»

(٨، ٩) قراءةتان متواترتان: تقريب النشر (ص ١٧٨).

الجمهور، يدل عليه حديث جابر المذكور أول السورة، وخرجه الترمذي وفيه: «للجن أحسن منكم ردا»<sup>(١)</sup>. وقيل: لما قال: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ [الرحمن: ٣] ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ﴾ [الرحمن: ١٥] دل ذلك على أن ما تقدم وما تأخر لهما. وأيضا قال: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١] وهو خطاب للإنس والجن، وقد قال في هذه السورة: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ [الرحمن: ٣٣]. وقال الجرجاني: خاطب الجن مع الإنس وإن لم يتقدم للجن ذكر، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢]. وقد سبق ذكر الجن فيما سبق نزوله من القرآن، والقرآن كالسورة الواحدة، فإذا ثبت أنهم مكلفون كالإنس خوطب الجنسان بهذه الآيات. وقيل: الخطاب للإنس على عادة العرب في الخطاب للواحد بلفظ التثنية، حسب ما تقدم من القول في ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ [ق: ٢٤]. وكذلك قوله:

قَفَا نَبِكَ (٢)

خَلِيلِي مُرَابِي (٣)

فأما ما بعد ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ [الرحمن: ٣] ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ﴾ [الرحمن: ١٥] فإنه خطاب للإنس والجن، والصحيح قول الجمهور لقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ والآء النعم، وهو قول جميع المفسرين، واحدها إلى وإلى مثل معى وعصا، وإلى وإلى أربيع لغات حكاهما النحاس قال: وفي واحد «آء الليل» ثلاث تسقط منها المفتوحة الألف المسكنة اللام، وقد مضى في «الأعراف»<sup>(٤)</sup> و«النجم»<sup>(٥)</sup>. وقال ابن زيد: إنها القدرة<sup>(٦)</sup>، وتقدير الكلام فيأي قدرة ربكما تكذبان، وقاله الكلبي واختاره الترمذي محمد بن علي، وقال: هذه السورة من بين السور علم القرآن، والعلم إمام الجند والجند تبسعه، وإنما صارت علما لأنها سورة صفة الملك والقدرة، فقال: ﴿الرَّحْمَنُ ۙ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ فافتتح السورة باسم الرحمن من بين الأسماء ليعلم العباد أن جميع ما يصفه بعد هذا من أفعاله ومن ملكه وقدرته خرج إليهم من الرحمة العظمى من رحمانيته فقال: ﴿الرَّحْمَنُ ۙ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ ثم ذكر الإنسان فقال: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ ثم ذكر ما صنع به وما من عليه به، ثم ذكر حَسْبَانَ الشمس والقمر وسجود الأشياء مما نجم وشجر، وذكر رَفَعَ السَّمَاءِ وَوَضَعَ الْمِيزَانَ وهو العدل، ووضع الأرض للأنام، فخاطب هذين الثقلين الجن والإنس حين رأوا ما خرج من القدرة والملك برحمانيته التي رحمهم بها من غير منفعة ولا حاجة إلى ذلك، فأشركوا به الأوثان وكل معبود اتخذوه من دونه، وجحدوا الرحمة التي خرجت هذه الأشياء بها إليهم، فقال سائلا لهم: ﴿فَبِأَيِّ آءَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي بأي قدرة ربكما تكذبان، فإنما كان تكذيبهم أنهم جعلوا له في هذه الأشياء التي خرجت من ملكه وقدرته شريكا يملك معه ويقدر معه، فذلك تكذيبهم. ثم ذكر خلق الإنسان من صلصال، وذكر خلق الجن

(١) حسن: وقد سبق في أول السورة.

(٢) هذا جزء بيت لامرئ القيس وتغامه:

قَفَا نَبِكَ مِنْ ذَكَرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ

بَسَقَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدُّخُولِ فَمَحْمَلِ

وهو أول بيت من معلقته الشهيرة.

(٣) هذا جزء بيت لامرئ القيس وتغامه:

خَلِيلِي مُرَابِي عَلَى أُمِّ جُنْدُبِ

نَقَضَ لَبَّاتَاتِ الْفَوَادِ الْمُعَدَّبِ

(٤) عند الآية (٦٩).

(٥) عند الآية (٥٥) من سورة النجم.

(٦) حسن: الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٣٤).

من مارج من نار، ثم سألهم فقال: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي بأي قدرة ربكما تكذبان، فإن له في كل خلق بعد خلق، قدرة بعد قدرة، فالتكرير في هذه الآيات للتأكيد والمبالغة في التقرير، واتخاذ الحجة عليهم بما وقفهم على خلق. وقال القسبي: إن الله تعالى عدد في هذه السورة نعماء، وذكر خلقه آلاءه، ثم أتبع كل خلة وصفها ونعمة وضعها بهذه وجعلها فاصلة بين كل نعمتين لينبههم على النعم ويقرهم بها، كما تقول لمن تتابع فيه إحسانك وهو يكفره ومنكره: ألم تكن فقيراً فأغنيتك أفتنكر هذا؟! ألم تكن خاملاً فعززتك أفتنكر هذا؟! ألم تكن صرورة<sup>(١)</sup> فحججت بك أفتنكر هذا؟! ألم تكن راجلاً فحملتك أفتنكر هذا؟! والتكرير حسن في مثل هذا. قال:

كَمْ نِعْمَةٍ كَانَتْ لَكُمْ كَمْ كَمْ وَكَمْ

وقال آخر:

لَا تَقْتُلِي مُسْلِمًا إِنْ كُنْتَ مُسْلِمَةً      إِيَّاكَ مِنْ دَمِهِ إِيَّاكَ إِيَّاكَ

وقال آخر:

لَا تَقَطْعَنَّ الصَّدِيقَ مَا طَرَفَتْ      عَيْنَاكَ مِنْ قَوْلِ كَاشِحٍ أَشْرِبِ  
وَلَا تَمَلْسَنَّ مِنْ زِيَارَتِهِ زُرَّهُ      وَزُرَّهُ وَزُرَّ وَزُرَّ

وقال الحسين بن الفضل: التكرير طرداً للغفلة، وتأكيذاً للحجة<sup>(٢)</sup>.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ لما ذكر سبحانه خلق العالم الكبير من السماء والأرض، وما فيهما من الدلالات على وحدانيته وقدرته ذكر خلق العالم الصغير فقال: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ باتفاق من أهل التأويل يعني آدم. ﴿مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ الصلصال الطين اليابس الذي يسمع له صلصلة، شبهه بالفخار الذي يطبخ. وقيل: هو طين خلط برمل. وقيل: هو الطين المنتز من صل اللحم وأصل إذا أنتن، وقد مضى في «الحجر». وقال هنا: ﴿مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾، وقال هناك: ﴿مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦] وقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لِأَزْبٍ﴾ [الصفات: ١١] وقال: ﴿كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩] وذلك متفق المعنى، وذلك أنه أخذ من تراب الأرض فعجنه فصار طينا، ثم انتقل فصار كالحمأ المسنون، ثم انتقل فصار صلصالا كالفخار. ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ قال الحسن: الجان إبليس وهو أبو الجن<sup>(٣)</sup>. وقيل: الجان واحد الجن، والمرج: اللهب، عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>، وقال: خلق الله الجان من خالص النار<sup>(٥)</sup>. وعنه أيضا: من لسانها الذي يكون في طرفها إذا التهبت.

(١) صرورة: من لم يحج قط - وأصله من الصر، وهو الحيس والمنع. اللسان صرر.

والكلام ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/٤٦٠، ٤٦١).

(٢) وهذا عين الصحة إن شاء الله.

(٣) صحيح: وقد سبق في سورة البقرة.

(٤) منقطع: الطبري في تفسيره (٢٧/١٣٣).

(٥) منقطع: بين علي بن أبي طلحة، وابن عباس. السابق (٢٧/١٣٣)، ومن طريق العوفي أيضا.

وقال الليث: المارج: الشُّعْلة الساطعة ذات اللهب الشديد (١). وعن ابن عباس: أنه اللهب الذي يعلو النار فيختلط بعضه ببعض أحمر وأصفر وأخضر (٢)، ونحوه عن مجاهد، وكله متقارب المعنى. وقيل: المارج كل أمر مرسل غير ممنوع، ونحوه قول المبرد، قال المبرد: المارج: النار المرسل التي لا تمنع. وقال أبو عبيدة والحسن: المارج خلط النار، وأصله من مرج إذا اضطرب واختلط، ويروى أن الله تعالى خلق نارين فمرج إحداهما بالأخرى، فأكلت إحداهما الأخرى وهي نار السموم فخلق منها إبليس. قال القشيري: والمارج في اللغة المرسل أو المختلط وهو فاعل بمعنى مفعول، كقوله: ﴿مَاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦] و﴿عَيْشَةً رَاضِيَةً﴾ [الحاقة: ٢١] والمعنى ذو مرج، قال الجوهري في الصحاح: و﴿مَارجٍ مِّنْ نَّارٍ﴾ نار لا دخان لها خلق منها الجان. ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ . قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ أي هو رب المشرقين. وفي الصفات ﴿وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ [الصفات: ٥] وقد مضى الكلام في ذلك هنالك.

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٣﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿١٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٥﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْؤُكُ وَالْمَرْجَانُ ﴿١٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٧﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٣﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿١٤﴾ ﴾ مَرَجٌ أي خَلَّى وأرسل وأهمل، يقال: مَرَجَ السُّلْطَانُ النَّاسَ إذا أهملهم. وأصل المريج الإهمال كما تخرج الدابة في المريج. ويقال: مَرَجَ خلط. وقال الأخفش: ويقول قوم: أَمْرَجَ البحرين مثل مرج، فعل وأفعل بمعنى. ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾ قال ابن عباس: بحر السماء وبحر الأرض (٣) وقاله مجاهد وسعيد بن جبير (٤). ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ في كل عام. وقيل: يلتقي طرفاهما. وقال الحسن، وقتادة: بحر فارس والروم (٥). وقال ابن جريج: إنه البحر المالح والأنهار العذبة (٦). وقيل: بحر المشرق والمغرب يلتقي طرفاهما. وقيل: بحر اللؤلؤ والمرجان. ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ أي حاجز، فعلى القول الأول: ما بين السماء والأرض، قاله الضحاك (٧). وعلى القول الثاني: الأرض التي بينهما وهي الحجاز، قاله الحسن وقتادة (٨). وعلى غيرهما من الأقوال القدرة الإلهية على ما تقدم في «الفرقان» (٩) وفي الخبر عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إن الله تعالى كلّم الناحية الغربية فقال: إني جاعل فيك عبداً لي يسبحوني ويكبروني ويهللونني ويمجدوني فكيف أنت لهم؟ فقالت: أغرقهم يا رب. قال: إني أحملهم على يدي، وأجعل بأسك

(١) ضعيف: منقطع بين الضحاك وابن عباس. الطبري (١٣٣/٢٧) في تفسيره.

(٢) ضعيف: وهو صحيح إلى مجاهد. السابق (١٣٣/٢٧).

(٣) ضعيف إلى ابن عباس: جداً ولا يصح: الطبري (١٣٥/٢٧) في تفسيره من طريق العوفيين.

(٤) ضعيف إلى سعيد بن جبير: الطبري (١٣٥/٢٧) في تفسيره.

(٥) صحيح إلى قتادة: الطبري (١٣٥/٢٧) في تفسيره، وذكره البغوي عن مجاهد (٤٢٤/٧).

(٦) ولعل هذا هو المعنى الصحيح.

(٧) هو معنى صحيح وانظر: تفسير الطبري (١٣٥/٢٧).

(٨) ضعيف: حتى وإن صحَّ سنده السابق (١٣٥/٢٧).

(٩) عند الآية (٥٣).

في نواحيك. ثم كلم الناحية الشرقية فقال: إني جاعل فيك عبادا لي يسبحوني ويكبروني ويهللوني ويمجدوني، فكيف أنت لهم؟ قالت: أسبحك معهم إذا سبحوك، وأكبرك معهم إذا كبروك، وأهللك معهم إذا هللوك، وأمجدك معهم إذا مجدوك، فأثابها الله الخلية وجعل بينهما برزخا، وتحول أحدهما ملحا أجاجا، وبقي الآخر على حالته عذبا قرانا<sup>(١)</sup> ذكر هذا الخبير الترمذي الحكيم أبو عبد الله قال: حدثنا صالح بن محمد، حدثنا القاسم العمري عن سهل عن أبيه عن أبي هريرة. ﴿لَا يَبْغِيَانِ﴾ قال قتادة: لا يبغيان على الناس فيغرقانهم، جعل بينهما وبين الناس يسا<sup>(٢)</sup>. وعنه أيضا ومجاهد: لا يبغيا أحدهما على صاحبه فيغلبه<sup>(٣)</sup>. ابن زيد: المعنى ﴿لَا يَبْغِيَانِ﴾ أن يلتقيا<sup>(٤)</sup>، وتقدير الكلام: مرج البحرين يلتقيان، لولا البرزخ الذي بينهما لا يبغيان أن يلتقيا. وقيل: البرزخ ما بين الدنيا والآخرة، أي بينهما مدة قدرها الله وهي مدة الدنيا فهما لا يبغيان، فإذا أذن الله في انقضاء الدنيا صار البحران شيئا واحدا، وهو كقوله وتعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٤٣]. وقال سهل بن عبد الله: البحران طريق الخير والشر، والبرزخ الذي بينهما التوفيق والعصمة<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْزُ وَالْمَرْجَانُ﴾ أي يخرج لكم من الماء اللؤلؤ والمرجان، كما يخرج من التراب الحب والعصف والريحان. وقرأ نافع وأبو عمر: «يُخْرَجُ» بضم الياء وفتح الراء على الفعل المجهول<sup>(٦)</sup>. الباقون ﴿يَخْرُجُ﴾ بفتح الياء وضم الراء على أن اللؤلؤ هو الفاعل. وقال: ﴿مِنْهُمَا﴾ وإنما يخرج من الملح لا العذب لأن العرب تجمع الحسنين ثم تخبر عن أحدهما، كقوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ [الانعام: ١٣٠] وإنما الرسل من الإنس دون الجن؛ قاله الكلبي وغيره.

قال الزجاج: قد ذكرهما الله فإذا خرج من أحدهما شيء فقد خرج منهما، وهو كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: ١٦] والقمر في سماء الدنيا ولكن أجمل ذكر السبع فكان ما في إحداهن فيهن. وقال أبو علي الفارسي: هذا من باب حذف المضاف، أي من أحدهما، كقوله: ﴿عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] أي من إحدى القريتين. وقال الأخفش سعيد: زعم قوم أنه يخرج اللؤلؤ من العذب.

وقيل: هما بحران يخرج من أحدهما اللؤلؤ ومن الآخر المرجان. ابن عباس: هما بحرا السماء

(١) موضوع: ذكره الهيثمي في المجمع (٥ / ٢٨١) وحكم بضعفه، وقد ذكر فيه عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر، وهو العمري: متروك، ومتمم بالكذب، وذكر الذهبي هذا الحديث في الميزان (٤٩٠)، وقال: «فهذا أقطع حديث جاء به عبد الرحمن»، وحكم ابن كثير في البداية بوضعه (١ / ٣٥).

(٢) في إسناده مقال: الطبري في تفسيره (٢٧ / ١٣٦).

(٣) ضعيف إلى مجاهد: فيه نظر بن خليفة وفيه ضعف وقد وثق، وروى بسند صحيح آخر إلى مجاهد كما عند الطبري (٢٧ / ١٣٧) في تفسيره.

(٤) صحيح إليه: الطبري (٢٧ / ١٣٧) في تفسيره.

(٥) هذه أقاويل صوفية، وإشارات باطنية ما أنزل الله بها من سلطان، ولا دليل عليها، فاضرب الصفح عنها.

(٦) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص ١٧٨).

والأرض. فإذا وقع ماء السماء في صدف البحر انعقد لؤلؤا فصار خارجا منهما (١)، وقاله الطبري. قال الثعلبي: ولقد ذكر لي أن نواة كانت في جوف صدفة، فأصابت القطرة بعض النواة ولم تصب البعض، فكان حيث أصاب القطرة من النواة لؤلؤة وسائرها نواة. وقيل: إن العذب والملح قد يلتقيان، فيكون العذب كاللحاح للملح، فنسب إليهما كما ينسب الولد إلى الذكر والأنثى وإن ولدته الأنثى، لذلك قيل: إنه لا يخرج اللؤلؤ إلا من وضع يلتقي فيه العذب والملح. وقيل: المرجان عظام اللؤلؤ وكباره، قاله علي وابن عباس رضي الله عنهما (٢). واللؤلؤ صغاره. وعنهما أيضا بالعكس: إن اللؤلؤ كبار اللؤلؤ والمرجان صغاره، وقاله الضحاک وقتادة (٣). وقال ابن مسعود وأبو مالك: المرجان الخرز الأحمر (٤).

### ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ﴾ ﴿فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿الْمُنشآتُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ﴾ يعني السفن. ﴿الْمُنشآتُ فِي الْبَحْرِ﴾ قراءة العامة ﴿الْمُنشآتُ﴾ بفتح الشين، قال قتادة: أي المخلوقات للجري مأخوذ من الإنشاء (٥). وقال مجاهد: هي السفن التي رفع قلعها، قال: وإذا لم يرفع قلعها فليست بمنشآت (٦). وقال الأخفش: إنها المجريات. وفي الحديث: أن عليا رضي الله عنه رأى سفنا مقلعة، فقال: ورب هذه الجوارى المنشآت ما قتلت عثمان ولا مالات في قتله (٧). وقرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم باختلاف عنه «المنشآت» بكسر الشين (٨) أي المنشآت

(١) سبق تخريجه .

(٢) ضعيف إلى ابن عباس: الطبري (٢٧ / ١٣٨) في تفسيره من طريق العوفيين .

(٣) رواهما الطبري من قول قتادة والضحاک (٢٧ / ١٣٧ ، ١٣٨)، وهو صحيح إلى قتادة ، ولا يعني هذا صحة الكلام

(٤) حسن : زاد السير (٥ / ٤٦٢) ، وعبد الرزاق في تفسيره (٢٩٩٠) .

قلت : واللؤلؤ والمرجان من خلق الله تعالى ، وقال العلماء : واللؤلؤ في أصله حيوان ، وهو أعجب ما في البحار ، فهو يهبط إلى الأعماق ، وهو داخل صدفة من المواد الجيرية تقيه من الأخطار ، ويختلف هذا الحيوان عن الكائنات الحياة في تركيبه وطريقة معيشته ، فله شبكة دقيقة كشبكة الصياد ، عجيبة النسيج ، وتكون كمصفاة تسمح بدخول الماء والهواء والغذاء إلى جوفه ، وتحول بين الرمال والحصى وغيرها ، وتحت الشبكة أفواه الحيوان ، ولكل فم أربع شفاه ، فإذا دخلت ذرة رمل ، أو قطعة حصى ، أو حيوان ضار عنوة إلى الصدفة سارع الحيوان إلى إفراز مادة لزجة يغطيها بها ، ثم تتجمد مكونة لؤلؤة ! وعلى حسب حجم الذرة التي وصلت يختلف حجم اللؤلؤة .

أما المرجان : فهو من عجائب مخلوقات الله ، يعيش في البحار على أعماق تتراوح بين خمسة أمتار وثلاثمائة متر ويثبت نفسه بطرفه الأسفل بصخر أو عشب . وفتحة جسمه التي في أعلاه محاطة بعدد من الزوائد يستعملها في غذائه ، فإذا ألمت فريسة هذا الزوائد ، وكثيراً ما تكون من الأحجار الدقيقة كبيراً غيث الماء ، أصيبت بالشلل في الحال ، والتصقت بها ، فتكشم الزوائد وتنحني نحو الفم ، حيث تدخل الفريسة إلى الداخل بقبضة ضيقة تشبه مريء الإنسان . من كتاب ( الله والعلم الحديث ) بتصرف يسير .

(٥ ، ٦) صحيح إليهما : الطبري في تفسيره (٢٧ / ١٤٠) .

(٧) ضعيف : ابن أبي حاتم (١٢ / ٢٦٥) في تفسيره ، وفي سننه عمير بن سعد لا يعتمد عليه ، والعرار بن سوي ، وضعفه البخاري .

(٨) قراءة متواترة : الإقناع (٢ / ٧٧٨) .

السير، أضيف الفعل إليها على التجوز والانتساع. وقيل: الارتفاعات الشرع أي القلع. ومن فتح الشين قال: المرفوعات الشرع. ﴿كَأَلْأَعْلَامِ﴾ أي كالجبال، والعلم الجبل الطويل، قال [جرير]:  
إِذَا قَطَعْنَ عِلْمًا بَدَأَ عِلْمٌ

فالسفن في البحر كالجبال في البر، وقد مضى في «الشورى» بيانه<sup>(١)</sup>. وقرأ يعقوب «الجواري» بياء في الوقف، وحذف الباقيون.

﴿كُلٌّ مِّنْ عَلَيْهَا فَإِنَّ رَبِّيَّ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ فَإِيءِ الْآءِ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿﴾

قوله تعالى: ﴿كُلٌّ مِّنْ عَلَيْهَا فَإِنَّ﴾ الضمير في ﴿عَلَيْهَا﴾ للأرض، وقد جرى ذكرها في أول السورة في قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ [الرحمن: ١٠]. وقد يقال: هو أكرم من عليها يعنون الأرض وإن لم يجر لها ذكر. وقال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية قالت الملائكة: هلك أهل الأرض فنزلت: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] فأيقنت الملائكة بالهلاك، وقاله مقاتل<sup>(٢)</sup>. ووجه النعمة في فناء الخلق التسوية بينهم في الموت، ومع الموت تستوي الأقدام. وقيل: وجه النعمة: أن الموت سبب النقل إلى دار الجزاء والثواب. ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ﴾ أي ويبقى الله، فالوجه عبارة عن وجوده وذاته سبحانه<sup>(٣)</sup>، قال الشاعر:

قَضَىٰ عَلَىٰ خَلْقِهِ الْمَنِيَا فَكُلُّ شَيْءٍ سِوَاهِ فَنِيَا

وهذا الذي ارتضاه المحققون من علمائنا - ابن فورك وأبو المعالي وغيرهم. وقال ابن عباس: الوجه عبارة عنه كما قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، وقال أبو المعالي: وأما الوجه فالمراد به عند معظم أئمتنا وجود الباري تعالى، وهو الذي ارتضاه شيخنا. ومن الدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ﴾ والموصوف بالبقاء عند تعرض الخلق للفناء وجود الباري تعالى<sup>(٤)</sup>. وقد مضى في «البقرة» القول في هذا عند قوله تعالى: ﴿فَأَيُّمَا تَوْلَّوْا فَنَّهُمُ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، وقد ذكرناه في الكتاب الأسنى مستوفى. قال القشيري: قال قوم هو صفة زائدة على الذات لا تكيف، يحصل بها الإقبال على من أراد الرب تخصيصه بالإكرام. والصحيح أن يقال: وجهه وجوده وذاته، يقال: هذا وجه الأم ووجه الصواب وعين الصواب.

وقيل: أي يبقى الظاهر بأدلته كظهور الإنسان بوجهه. وقيل: وتبقى الجهة التي يتقرب بها إلى الله. ﴿ذُو الْجَلَالِ﴾ الجلال: عظمة الله وكبرياؤه واستحقاقه صفات المدح، يقال: جل الشيء أي عظم وأجللته أي عظّمته، والجلال اسم من جل. ﴿وَالْإِكْرَامِ﴾ أي هو أهل لأن يكرم عما لا يليق به من الشرك، كما تقول: أنا أكرمك عن هذا، ومنه إكرام الأنبياء والأولياء. وقد أتينا على

(١) عند الآية (٣٢).

(٢) ضعيف إلى مقاتل: وانظر: الطبري (١٣٨/٢٧) في تفسيره.

(٣) هذا خطأ فاحش، وزلة قاتلة: ولو ابتعد عنها المصنف لكان خيراً له. للمزيد راجع شرح العقيدة الواسطية (ص

١٥٤ - ١٥٩) لابن عثيمين.

(٤) هذا خطأ فاحش، وانظر السابق (ص ١٥٩).

هذين الاسمين لغة ومعنى في الكتاب « الأسنى » مستوفى . وروى أنس أن النبي ﷺ قال : « أظفوا بيا ذا الجلال والإكرام » (١) . وروي أنه من قول ابن مسعود ، ومعناه : الزموا ذلك في الدعاء . قال أبو عبيد : الإلظاظ لزوم الشيء والمثابرة عليه . ويقال : الإلظاظ : الإلحاح . وعن سعيد المقبري : أن رجلا ألح فجعل يقول : اللهم يا ذا الجلال والإكرام ! اللهم يا ذا الجلال والإكرام ! فنودي : إني قد سمعت فما حاجتك؟

﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥﴾

قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ قيل : المعنى يسأله من في السموات الرحمة ، ومن في الأرض الرزق . وقال ابن عباس وأبو صالح : أهل السموات يسألونه المغفرة ولا يسألونه الرزق ، وأهل الأرض يسألونهما جميعاً (٢) . وقال ابن جريج : وتسال الملائكة الرزق لأهل الأرض ، فكانت المسألتان جميعاً من أهل السماء وأهل الأرض لأهل الأرض (٣) . وفي الحديث : « إن من الملائكة ملكاً له أربعة أوجه : وجه كوجه الإنسان وهو يسأل الله الرزق لبني آدم ، ووجه كوجه الأسد وهو يسأل الله الرزق للسباع ، ووجه كوجه الثور وهو يسأل الله الرزق للبهائم ، ووجه كوجه النسر وهو يسأل الله الرزق للطير » (٤) . وقال ابن عطاء : إنهم سألوه القوة على العبادة ﴿ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ هذا كلام مبتدأ . وانتصب ﴿ كُلُّ يَوْمٍ ﴾ ظرفاً ، لقوله : ﴿ فِي شَأْنٍ ﴾ أو ظرفاً للسؤال ، ثم ابتدئ ﴿ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ . وروى أبو الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ﴿ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ قال : « من شأنه أن يغفر ذنبا ، ويفرج كربا ، ويرفع قوما ، ويضع آخرين » (٥) ، وعن ابن عمر عن النبي ﷺ في قول الله عز وجل : ﴿ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ قال : « يغفر ذنبا ويكشف كربا ، ويجب داعياً » (٦) . وقيل : من شأنه : أن يحيي ويميت ، ويعز ويزل ، ويرزق ويمنع . وقيل : أراد شأنه في يومي الدنيا والآخرة . قال ابن بحر : الدهر كله يومان : أحدهما مدة أيام الدنيا ، والآخر يوم القيامة ، فشأنه سبحانه وتعالى في أيام الدنيا : الابتلاء والاختبار بالأمر والنهي والإحياء والإماتة ، الإعطاء والمنع ، وشأنه يوم القيامة : الجزاء والحساب ، والثواب والعقاب . وقيل : المراد بذلك الإخبار عن شأنه في كل يوم من أيام الدنيا وهو الظاهر . والشأن في اللغة الخطب العظيم والجمع الشؤون والمراد بالشأن هنا الجمع كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾ [غافر : ٦٧] . وقال الكلبي : شأنه سوق المقادير إلى المواقيت . وقال عمرو ابن ميمون في قوله تعالى : ﴿ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ من شأنه أن يميت حيا ، ويقر في الأرحام ما شاء ،

(١) حسن : الترمذي (٣٥٢٤ ، ٣٥٢٥) في الدعوات ، وحسنه الألباني هناك .

(٢) ضعيف إلى ابن عباس : الطبري (١٤١ / ٢٧) في تفسيره من طريق العوفيين .

(٣) فتح القدير للشوكاني (٧ / ١٠٦) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٩٣ / ١٠) .

(٤) موضوع : نقله ابن عادل في اللباب عن المصنف بلا سند (٤٥ / ١٥) .

(٥) حسن : ابن ماجه (٢٠٢) في المقدمة ، وحسنه الألباني إسناده هناك ، و (٣٠١) في ظلال الجنة .

(٦) ضعيف : البزار في مسنده (٢٢٦٨) .

ويعز ذليلاً، ويذل عزيزاً. وسأل بعض الأمراء وزيره عن قوله تعالى: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فلم يعرف معناها، واستمهلها إلى الغد فانصرف كثيراً إلى منزل فقال له غلام له أسود: ما شأنك؟ فأخبره. فقال له: عد إلى الأمير فإنني أفسرها له، فدعاه فقال: أيها الأمير! شأنه أن يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل، ويخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، ويشفي سقيماً، ويسقم سليماً، ويبتلي معافى، ويعافي مبتلى، ويعز ذليلاً، ويذل عزيزاً، ويفقر غنياً، ويغني فقيراً، فقال له: فرجت عني فرج الله عنك، ثم أمر بخلع ثياب الوزير وكساها الغلام، فقال: يا مولاي! هذا من شأن الله تعالى. وعن عبد الله بن طاهر: أنه دعا الحسين بن الفضل وقال له: أشكلت علي ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لي: قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١] وقد صح أن الندم توبة. وقول: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ وقد صح أن القلم جف بما هو كائن إلى يوم القيامة. وقوله: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩] فما بال الأضعاف؟ فقال الحسين: يجوز ألا يكون الندم توبة في تلك الأمة، ويكون توبة في هذه الأمة، لأن الله تعالى خص هذه الأمة بخصائص لم تشاركهم فيها الأمم. وقيل: إن ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله. وأما قوله: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فإنها شؤون يبيدها لا شؤون يبتديها. وأما قوله: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩] فمعناه: ليس له إلا ما سعى عدلاً ولي أن أجزيه بواحدة ألفاً فضلاً. فقام عبد الله، وقبل رأسه وسوغ خراجه.

﴿سَتَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّةُ الثَّقَلَانِ﴾ ٣٥ ﴿قَبَائِيءِ آلِهِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانَ﴾ ٣٦ ﴿يَمَعَشَرِ الْجِبْنَ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ﴾ ٣٧ ﴿قَبَائِيءِ آلِهِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانَ﴾ ٣٨ ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصِرَانِ﴾ ٣٩ ﴿قَبَائِيءِ آلِهِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانَ﴾ ٤٠

قوله تعالى: ﴿سَتَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّةُ الثَّقَلَانِ﴾ يقال: فرغت من الشغل أفرغ فروغا وفراغا وتفرغت لكذا واستفرغت مجهودي في كذا أي بذلته. والله تعالى ليس له شغل يفرغ منه، إنما المعنى ستقصد لمجازاتكم أو محاسبتكم، وهذا وعيد وتهديد لهم كما يقول القائل لمن يريد تهديده: إذا أتفرغ لك أي أقصدك. وفرغ بمعنى قصد، وأنشد ابن الأنباري في مثل هذا لجرير:

الآن وَقَدْ فَرَّغْتُ إِلَى نُمَيْرٍ  
فهذا حين كُنْتُ لها عَدَابًا

يريد وقد قصدت. وقال أيضاً وأنشده النحاس:

فَرَّغْتُ إِلَى الْعَبْدِ الْمَقِيدِ فِي الْحِجْلِ

وفي الحديث: أن النبي ﷺ لما بايع الأنصار ليلة العقبة، صاح الشيطان: يا أهل الجبابج<sup>(١)</sup>!

(١) الجبابج: المستوى من الأرض ليس بحزن، وهي هنا أسماء منازل لمنى، سُميت به، قيل: كروش الأضاحي تُلقي فيها أيام الحج.

والجبية: الكرش يجعل فيها اللحم يتزود بها في الأسفار. النهاية (١/٢٣٥) لابن الأثير.

هذا مُدَمَّمٌ يبياع بني قَيْلَةَ على حربكم، فقال النبي ﷺ «هذا إزْبُ» (١) العقبَة أما والله يا عدو الله لا تفرغن لك» (٢)، أي أقصد إلى إبطال أمرك. وهذا اختيار القسبي والكسائي وغيرهما. وقيل: إن الله تعالى وعد على التقوى وأوعد على الفجور، ثم قال: ﴿سَفَّرْغُ لَكُمْ﴾ مما وعدناكم ونوصل كلا إلى ما وعدناه، أي أقسم ذلك وأنفِغ منه؛ قاله الحسن ومقاتل وابن زيد. وقرأ عبد الله وأبي «سفنرغ إليكم» وقرأ الأعمش وإبراهيم «سَفَّرْغُ لَكُمْ» بضم الياء وفتح الراء على ما لم يسم فاعله. وقرأ ابن شهاب والأعرج: «سَفَّرْغُ لَكُمْ» بفتح النون والراء، قال الكسائي: هي لغة تميم يقولون: فَرَّغَ يَفْرُغُ، وحكى أيضا فَرَّغَ يَفْرُغُ، ورواهما هبيرة عن حفص عن عاصم. وروى الجعفي عن أبي عمرو «سَفَّرْغُ» بفتح الياء والراء، ورويت عن ابن هرمز. وروي عن عيسى الثقفي «سَفَّرْغُ لَكُمْ» بكسر النون وفتح الراء، وقرأ حمزة والكسائي «سَفَّرْغُ لَكُمْ» (٣) بالياء. الباقر بالنون وهي لغة تهامة. والثقلان الجن والإنس، سميا بذلك لعظم شأنهما بالإضافة إلى ما في الأرض من غيرهما بسبب التكليف، وقيل: سموا بذلك لأنهم ثقل على الأرض أحياء وأمواتا، قال الله تعالى: ﴿وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢] ومنه قولهم: أعطه ثقله أي وزنه. وقال بعض أهل المعاني: كل شيء له قدر ووزن ينافس فيه فهو ثقل. ومنه قيل لبيض النعام: ثقل، لأن واجده وصانده يفرح به إذا ظفر به. وقال جعفر الصادق: سميا ثقلين، لأنهما مثقلان بالذنوب. وقال: ﴿سَفَّرْغُ لَكُمْ﴾ فجمع، ثم قال: ﴿أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ لأنهما فريقان وكل فريق جمع، وكذا قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾ ولم يقل: إن استطعتما، لأنهما فريقان في حال الجمع، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [النمل: ٤٥] و﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩] ولو قال: سفنرغ لكما، وقال: إن استطعتما لجاز. وقرأ أهل الشام «أَيُّهُ الثَّقَلَانِ» بضم الهاء (٤). الباقر بفتحها وقد تقدم.

### مسألة:

هذه السورة و «الأحقاف» و «قل أوحى» دليل على أن الجن مخاطبون مكلفون مأمورون منهيون مثابون معاقبون كالإنس سواء، مؤمنهم كمؤمنهم، وكافرهم ككافرهم، لا فرق بيننا وبينهم في شيء من ذلك. قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ ذكر ابن المبارك: وأخبرنا جوير عن الضحاك قال: إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا فتشقت بأهلها، فتكون الملائكة على حافاتهما حتى يأمرهم الرب، فينزلون إلى الأرض فيحيطون بالأرض ومن فيها، ثم يأمر الله السماء التي تليها كذلك فينزلون فيكونون صفا من خلف ذلك الصف، ثم السماء الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة، فينزل الملك الأعلى في بهائه وملكه ومجنته اليسرى جهنم، فيسمعون زفيرها وشهيقها، فلا يأتون قطرا من أقطارها إلا وجدوا صفوفا من الملائكة، فذلك قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾

(١) آزب: اسم شيطان النهاية (١/ ٤٣) لابن الأثير.

(٢) صحيح: أحمد (٣/ ٢٤٦) في المسند من حديث كعب بن مالك، وفيه ابن إسحاق وقد صرح فيه بالتحديث.

(٣) قراءة سبعة متواترة: تقريب النشر (ص ١٧٨).

(٤) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص ١٨٠).

أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿١﴾. وقال الضحاك أيضا: بينما الناس في أسواقهم انفتحت السماء، ونزلت الملائكة، فتهرب الجن والإنس، فتحقق بهم الملائكة، فذلك قوله تعالى: ﴿لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ ذكره النحاس.

قلت: فعلى هذا يكون في الدنيا، وعلى ما ذكر ابن المبارك يكون في الآخرة. وعن الضحاك أيضا: إن استطعتم أن تهربوا من الموت فاهربوا (٢). وقال ابن عباس: إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات وما في الأرض فأعلموه، ولن تعلموه إلا بسطان أي بيينة من الله تعالى (٣). وعنه أيضا أن معنى ﴿لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ لا تخرجون من سلطاني وقدرتي عليكم. قتادة: لا تنفذون إلا بملك وليس لكم ملك. وقيل: لا تنفذون إلا إلى سلطان، الباء بمعنى إلى، كقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ [يوسف: ١٠٠] أي إلى. قال الشاعر:

أَسِيْنِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُوْلَةٌ لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتْ  
وقوله: ﴿فَانفُذُوا﴾ أمر تعجيز.

قوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾ أي لو خرجتم أرسل عليكم شواظ من نار، وأخذكم العذاب المانع من النفوذ. وقيل: ليس هذا متعلقا بالنفوذ بل أخبر أنه يعاقب العصاة عذابا بالنار. وقيل: أي بآلاء ربكما تكذبان يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس عقوبة على ذلك التكذيب. وقيل: يحاط على الخلائق بالملائكة وبلسان من نار ثم ينادون: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾، فتلك النار قوله: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ﴾ والشواظ في قول ابن عباس وغيره: اللهب الذي لا دخان له (٤). والنحاس: الدخان الذي لا لهب فيه، ومنه قول أمية بن أبي الصلت يهجو حسان بن ثابت رضي الله عنه، كذا وقع في تفسير الثعلبي والماوردي: ابن أبي الصلت، وفي «الصحاح» و«الوقف والابتداء» لابن الأنباري: أمية بن خلف قال:

أَلَا مِّنْ مُّبْلَغٍ حَسَانَ عَنِّي      مُغْلَغَلَةٌ تَدْبُ إِلَى عُكَاظِ  
أَلَيْسَ أَبُوكَ فِينَا كَانَ قَيْنًا      لَدَى الْقَيْنَاتِ فَسَلَا فِي الْحَفَاظِ (٥)  
يَمَانِيًا يَظَلُّ يَشْدُ كَيْرًا      وَيَنْفُخُ دَائِبًا لَهَبَ الشُّوَاظِ  
فأجابه حسان رضي الله عنه فقال:

هَجَوْتُكَ فَاخْتَضَعْتَ لَهَا بِدُلُّ      بِقَافِيَةٍ تَأْجِجُ كَالشُّوَاظِ

وقال رؤبة:

إِنَّ لَهُمْ مِنْ وَقَعْنَا أَقْيَاطًا      وَنَارَ حَرْبٍ تُسْعِرُ الشُّوَاظَا

(١) ضعيف جداً: فيه جوهر وهو متروك، ورواه ابن المبارك (١/ ١٠٣) في الزهد برقم (٣٥٤) - ط العلمية وذكره الطبري (٢٧/ ١٤٣) في تفسيره بسند آخر.

قلت: ولا يصح.

(٢) كذا عند الطبري (٢٧/ ١٤٤) في تفسيره.

(٣) ضعيف: الطبري (٢٧/ ١٤٤) في تفسيره من طريق العوفيين.

(٤) منقطع: بين علي بن أبي طلحة وابن عباس - رضي الله عنهما. الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٤٥)

(٥) الفسل من الرجال: هو الرذل الذي لا مروءة له ولا جلد. اللسان «فصل».

وقال مجاهد: الشواظ اللهب الأخضر المنقطع من النار<sup>(١)</sup>. الضحاك: هو الدخان الذي يخرج من اللهب ليس بدخان الحطب<sup>(٢)</sup>، وقاله سعيد بن جبير. وقد قيل: إن الشواظ النار والدخان جميعاً، قاله عمرو وحكاه الأخفش عن بعض العرب. وقرأ ابن كثير «شواظ» بكسر الشين<sup>(٣)</sup>. الباقون بالضم وهما لغتان، مثل صُوار وصِوار لقطع البقر. ﴿وَنَحَّاسٌ﴾ قراءة العامة بالرفع عطف على ﴿شُؤَاطٌ﴾.

وقرأ ابن كثير وابن محيصن ومجاهد وأبو عمرو «وَنَحَّاسٌ» بالخفض عطفًا على النار<sup>(٤)</sup>. قال المهدي: من قال: إن الشواظ النار والدخان جميعاً فالجر في «نحاس» على هذا بين. فأما الجر على قول من جعل الشواظ اللهب الذي لا دخان فيه، فبعيد لا يسوغ إلا على تقدير حذف موصوف كأنه قال: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمْ شُؤَاطٌ مِّنْ نَّارٍ﴾ وشيء من نحاس، فشيء معطوف على شواظ، ومن نحاس جملة هي صفة لشيء، وحذف شيء، وحذفت «من» لتقدم ذكرها في ﴿مِنْ نَّارٍ﴾ كما حذفت على من قولهم: على من تنزل أنزل أي عليه. فيكون «نحاس» على هذا مجروراً بـ «من» المحذوفة. وعن مجاهد وحמיד وعكرمة وأبي العالية «وَنَحَّاسٌ» بكسر النون لغتان كالشُؤَاطِ والشُؤَاطِ. والنحاس بالكسر أيضاً الطيبة والأصل، يقال: فلان كريم النحاس والنحاس أيضاً بالضم أي كريم النجار. وعن مسلم بن جندب «وَنَحَّسٌ» بالرفع. وعن حفظة بن مرة بن النعمان الأنصاري «ونحس» بالجر عطف على نار. ويجوز أن يكون «وَنَحَّاسٌ» بالكسر جمع نَحَسَ كَصَعَبَ وَصَعَابَ «وَنَحَّسٌ» بالرفع عطف على ﴿شُؤَاطٌ﴾ وعن الحسن «وَنَحَّسٌ» بالضم فيهما جمع نحس. ويجوز أن يكون أصله وَنَحُوسٌ فقصر بحذف واوه حسب ما تقدم عند قوله: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة «وَنَحَّسٌ» بفتح النون وضم الحاء وتشديد السين من حَسَّ يَحْسُ حَسًّا إذا استأصل، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ [آل عمران: ١٥٢] والمعنى وقتل بالعذاب. وعلى القراءة الأولى ﴿وَنَحَّاسٌ﴾ فهو الصُّفْرُ المذاب يصب على رؤوسهم؛ قاله مجاهد وقتادة<sup>(٥)</sup>، وروي عن ابن عباس<sup>(٦)</sup>. عن ابن عباس أيضاً وسعيد بن جبير: أن النحاس الدخان الذي لا لهب فيه<sup>(٧)</sup>، وهو معنى قول الخليل، وهو معروف في كلام العرب بهذا المعنى، قال نابغة بني جعدة:

يُضِيءُ كضوءِ سراجِ السَّليِّ طِلمِ يَجْعَلُ اللهُ فِيهِ نُحَّاسًا

قال الأصمعي: سمعت أعرابياً يقول: السَّليط: دهن السمسم بالشام ولا دخان فيه. وقال مقاتل: هي خمسة أنهار من صفر مذاب، تجري من تحت العرش على رؤوس أهل النار، ثلاثة أنهار

(١) حسن: الطبري (٢٧ / ١٤٦) في تفسيره.

(٢) منقطع: بين الطبري وشيخه الحسين، كما في تفسيره (٢٧ / ١٤٦).

(٣) (٤، ٣) قراءتان متواترتان: الإقناع (٢ / ٧٧٨).

(٤) صحيح إليهما: السابق (٢٧ / ١٤٧).

(٥) ضعيف جداً: السابق (٢٧ / ١٤٧) من طريق العوفيين.

(٦) ضعيف إلى ابن عباس: السابق (٢٧ / ١٤٦) من طريقين: أحدهما منقطع بينه وبين علي بن أبي طلحة،

والآخر من طريق أبي صالح وهو كذاب.

على مقدار الليل ونهران على مقدار النهار<sup>(١)</sup>. وقال ابن مسعود: النَّحَّاسُ: المَهْلُ<sup>(٢)</sup>. وقال الضحاك: هو دردي الزيت المغلي<sup>(٣)</sup>. وقال الكسائي: هو النار التي لها ريح شديدة. ﴿فَلَا تَنْصَرَانِ﴾ أي لا ينصر بعضكم بعضا يعني الجن والإنس.

﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ أي انصدعت يوم القيامة ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ الدهان الدهن، عن مجاهد والضحاك وغيرهما<sup>(٤)</sup>. والمعنى أنها صارت في صفاء الدهن، والدهان على هذا جمع دهن. وقال سعيد بن جبير وقناة: المعنى فكانت حمراء<sup>(٥)</sup>. وقيل: المعنى تصير في حمرة الورد وجريان الدهن، أي تذوب مع الانشقاق حتى تصير حمراء من حرارة نار جهنم، وتصير مثل الدهن لرقتها وذوبانها. وقيل: الدهان الجلد الأحمر الصرف، ذكره أبو عبيد والفراء. أي تصير السماء حمراء كالأديم لشدة حر النار. ابن عباس: المعنى فكانت كالفرس الورد<sup>(٦)</sup>، يقال للكميت: وَرَدٌ إذا كان يتلون باللون مختلفة. قال ابن عباس: الفرس الورد، في الربيع كميث أصفر، وفي أول الشتاء كميث أحمر، فإذا اشتد الشتاء كان كميثاً أغبر. وقال الفراء: أراد الفرس الوردية، تكون في الربيع وردة إلى الصفرة، فإذا اشتد البرد كانت وردة حمراء، فإذا كان بعد ذلك كانت وردة إلى الغبرة، فشبها تلون السماء بتلون الورد من الخيل. وقال الحسن: ﴿كَالدِّهَانِ﴾ أي كصب الدهن فإنك إذا صببته ترى فيه ألواناً<sup>(٧)</sup>. وقال زيد بن أسلم: المعنى أنها تصير كعكر الزيت<sup>(٨)</sup>، وقيل: المعنى أنها تمر ونحجي. قال الزجاج: أصل الواو والراء والدال للمجيء والإتيان. وهذا قريب مما قدمناه من أن الفرس الوردية تتغير ألوانها. وقال قناة: إنها اليوم خضراء وسيكون لها لون أحمر<sup>(٩)</sup>، حكاها الثعلبي. وقال الماوردي: وزعم المتقدمون أن أصل لون السماء الحمرة، وأنها لكثرة الحوائل وبعد المسافة ترى بهذا اللون الأزرق، وشبهوا ذلك بعروق البدن، وهي حمراء كحمرة الدم وترى بالحوائل زرقاء، فإن كان هذا صحيحاً فإن السماء لقربها من النواظر يوم القيامة وارتفاع الحواجز ترى حمراء، لأنه أصل لونها. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ هذا مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨] وأن القيامة مواطن لطول ذلك اليوم، فيسأل في بعض ولا يسأل في بعض،

(١) هذا غريب جداً : ومقاتل يروي الغرائب في تفسيره ، انظر : فتح القدير (٧/ ١٠٨) للشوكاني .

(٢) كذا في تفسير الخازن (٦/ ٢٧) ، والبغوي (٧/ ٤٤٩) في تفسيره .

(٣) انظر : فتح القدير (٧/ ١٠٨) للشوكاني .

(٤) صحيح إلى مجاهد : الطبري في تفسيره ، (٢٧/ ١٤٨) .

(٥) صحيح إلى قناة : السابق (٢٧/ ١٤٨) ، وانظر : البغوي في تفسيره (٧/ ٤٤٩) .

(٦) ضعيف : فيه قابوس عن أبيه وهو لين ، وانظر : تفسير الطبري (٢٧/ ١٤٨) .

(٧) ، (٨) كذا عند ابن كثير في تفسيره (٨/ ٣٨١) .

(٩) صحيح إلى قناة : الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٤٨) .

وهذا قول عكرمة <sup>(١)</sup>. وقيل: المعنى لا يسألون إذا استقروا في النار. وقال الحسن وقتادة: لا يسألون عن ذنوبهم، لأن الله حفظها عليهم، وكتبها عليهم الملائكة <sup>(٢)</sup>. رواه العوفي عن ابن عباس <sup>(٣)</sup>. وعن الحسن ومجاهد أيضا: المعنى لا تسأل الملائكة عنهم، لأنهم يعرفونهم بسيماهم، دليله ما بعده <sup>(٤)</sup>، وقاله مجاهد عن ابن عباس <sup>(٥)</sup>. وعنه أيضا في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢]، وقوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ وقال: لا يسألهم ليعرف ذلك منهم، لأنه أعلم بذلك منهم، ولكنه يسألهم: لم عملتموها؟ سؤال توبيخ. وقال أبو العالية: لا يسأل غير المجرم عن ذنب المجرم <sup>(٦)</sup>. وقال قتادة: كانت المسألة قبل، ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت الجوارح شاهدة عليهم <sup>(٧)</sup>. وفي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ وفيه قال: «فيلقي العبد فيقول: أي فلُ ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى، فيقول: أظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول: إني أنساك كما نسيتني، ثم يلقي الثاني فيقول له مثل ذلك بعينه ثم يلقي الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول: يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسولك وصلت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع فيقول: ها هنا إذا ثم يقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك فيفتكر في نفسه من هذا الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انظقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه» <sup>(٨)</sup>، وقد مضى هذا الحديث في «حم السجدة» <sup>(٩)</sup> وغيرها.

﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ ﴿فَبِأَيِّ آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾  
هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ ﴿فَبِأَيِّ آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿

قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ قال الحسن: سواد الوجه وزرقة الأعين <sup>(١٠)</sup>، قال الله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [ص: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾

(١) ذكره البغوي في تفسيره (٧/ ٤٥٠).

(٢) صحيح إلى قتادة: الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٤٩).

(٣) ضعيف: السابق (٢٧/ ١٤٩) من طريق العوفيين.

(٤) صحيح إلى مجاهد والحسن: السابق (٢٧/ ١٤٩).

(٥) انظر: فتح القدير (٧/ ١١٠) للشوكاني.

(٦) كذا عند البغوي في تفسيره (٧/ ٤٥٠).

(٧) ضعيف: الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٤٩).

(٨) صحيح: مسلم (٢٩٦٨/ ١٦) في الزهد والرفائق. «أي: فل»: بضم الفاء معناه: يا فلان، وهو ترخيم على

خلاف القياس كما عند النووي في شرحه على مسلم (٩/ ٢٩٧).

(٩) عند الآية (٦٥).

(١٠) سبق عند الطبري (٢٧/ ١٤٩) في تفسيره.

[آل عمران: ١٠٦]. ﴿فِيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ أي تأخذ الملائكة بنواصيهم، أي بشعور مقدم رؤسهم وأقدامهم فيقذفونهم في النار. والنواصي جمع ناصية. وقال الضحاك: يجمع بين ناصيته وقدميه في سلسلة من وراء ظهره (١). وعنه: يؤخذ برجلي الرجل فيجمع بينهما وبين ناصيته حتى يندق ظهره ثم يلقى في النار (٢). وقيل: يفعل ذلك به ليكون أشد لعذابه وأكثر لتشويبه. وقيل: تسحبهم الملائكة إلى النار، تارة تأخذ بناصيته وتجره على وجهه، وتارة تأخذ بقدميه وتسحبه على رأسه.

قوله تعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ أي يقال لهم: هذه النار التي أجبستم بها فكذبتم. ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آن﴾ قال قتادة: يطوفون مرة بين الحميم ومرة بين الجحيم، والجحيم النار، والحميم الشراب (٣). وفي قوله تعالى: ﴿آن﴾ ثلاثة أوجه، أحدها: أنه الذي انتهى حره وحميمه؛ قاله ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي (٤)، ومنه قول النابغة الذبياني:

وَتُخَضَّبُ لِحْيَةٌ غَدَرَتْ وَخَانَتْ  
بِأَحْمَرٍ مِنْ نَجِيحِ الْجُوفِ آنِ

قال قتادة: ﴿آن﴾ طبخ منذ خلق الله السموات والأرض، يقول: إذا استغاثوا من النار جعل غياثهم ذلك (٥). وقال كعب: ﴿آن﴾ واد من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فيغمسون بأغلالهم فيه حتى تنخلع أوصالهم، ثم يخرجون منها وقد أحدث الله لهم خلقا جديدا فيلقون في النار، فذلك قوله تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آن﴾ (٦). وعن كعب أيضا: أنه الحاضر (٧). وقال مجاهد: إنه الذي قد أن شربه وبلغ غايته (٨). والنعمة فيما وصف من هول القيامة وعقاب المجرمين ما في ذلك من الزجر عن المعاصي والترغيب في الطاعات. وروي عن النبي ﷺ أنه أتى على شاب في الليل يقرأ ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧] فوقف الشاب وخنقته العبرة وجعل يقول: ويحي من يوم تنشق فيه السماء ويحي! فقال النبي ﷺ: «ويحك يا فتى مثلها فوالذي نفسي بيده لقد بكت ملائكة السماء لبكائك» (٩).

﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۖ فِيهَا ۖ الْأَعْرَافُ ۖ رَكِبُوا كَذِبَانَ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾

فيه مسألتان:

الأولى: لما ذكر أحوال أهل النار ذكر ما أعد للأبرار. والمعنى: خاف مقامه بين يدي ربه للحساب فترك المعصية. ف ﴿مَقَامٌ﴾ مصدر بمعنى القيام. وقيل: خاف قيام ربه عليه أي إشرافه

(١) كذا ذكره السيوطي (٦/ ٢٠٠) في الدر المنثور وعزاه لابن المنذر.

(٢) ضعيف جداً: ابن رجب في التخويف من النار (ص ٩٥) من طريق جوير، وكذا رواه هناد (١/ ١٨٠) في الزهد.

(٣) بنحوه عند البغوي في تفسيره (٧/ ٤٥٠).

(٤) رواه الطبري (٢٧/ ١٥٠) من طريقين: منقطع من طريق علي بن أبي طلحة، والآخر عن العوفين، وهو صحيح

إلى مجاهد، وسعيد، وانظر: البغوي (٧/ ٤٥٠) في تفسيره، وابن كثير (٧/ ٣٩٢) في تفسيره.

(٥) صحيح: الضري (٢٧/ ١٥١) في تفسيره.

(٦) ضعيف وهو الإسرائيلي: البغوي في تفسيره (٧/ ٤٥٠).

(٧) السابق (٧/ ٤٥٠).

(٨) صحيح إلى مجاهد: الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٥٠).

(٩) مرسل: عزاه السيوطي (٦/ ٢٠٠) لابن نصر عن لقمان بن عامر الحنفي.

واطلاعه عليه، بيانه قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]. وقال مجاهد وإبراهيم النخعي: هو الرجل يهيم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من خوفه<sup>(١)</sup>.

**الثانية:** هذه الآية دليل على أن من قال لزوجه: إن لم أكن من أهل الجنة فأنت طالق أنه لا يحث إن كان هم بالمعصية وتركها خوفاً من الله وحياء منه. وقال به سفيان الثوري وأفتى به. وقال محمد بن علي الترمذي: جنة لخوفه من ربه، وجنة لتركه شهوته. وقال ابن عباس: من خاف مقام ربه بعد أداء الفرائض<sup>(٢)</sup>. وقيل: المقام الموضع، أي خاف مقامه بين يدي ربه للحساب كما تقدم ويجوز أن يكون المقام للعبد ثم يضاف إلى الله، وهو كالأجل في قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾ [الأعراف: ٣٤] وقوله في موضع آخر: ﴿إِنْ أَجَلَ اللَّهُ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح: ٤].

قوله تعالى: ﴿جَنَّاتٍ﴾ أي لمن خاف جنتان على حدة، فلكل خائف جنتان. وقيل: جنتان لجميع الخائفين، والأول أظهر. وروي عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «الجنتان بستتانان في عرض الجنة، كل بستتان مسيرة مائة عام في وسط كل بستتان دار من نور وليس منها شيء إلا يهتز نعمة وخضرة، قرارها ثابت وشجرها ثابت»<sup>(٣)</sup> ذكره المهدي والثعلبي أيضاً من حديث أبي هريرة. وقيل: إن الجنتين: جنته التي خلقت له وجنة ورثها. وقيل: إحدى الجنتين منزل والأخرى منزل أزواجه كما يفعله رؤساء الدنيا. وقيل: إن إحدى الجنتين مسكنه والأخرى بستانه. وقيل: إن إحدى الجنتين أسافل القصور والأخرى أعاليها. وقال مقاتل: هما جنة عدن وجنة النعيم. وقال الفراء: إنما هي جنة واحدة، فثنى لرؤوس الآي. وأنكر القتيبي هذا وقال: لا يجوز أن يقال: خزنة النار عشرون إنما قال تسعة عشر لمراعاة رؤوس الآي. وأيضاً قال: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾. وقال أبو جعفر النحاس: قال الفراء: قد تكون جنة فثنى في الشعر، وهذا القول من أعظم الغلط على كتاب الله عز وجل، يقول الله عز وجل: ﴿جَنَّاتٍ﴾ ويصفهما بقوله: ﴿فِيهِمَا﴾ فيدع الظاهر ويقول: يجوز أن تكون جنة ويحتج بالشعر! وقيل: إنما كانتا اثنتين ليضاعف له السرور بالتنقل من جهة إلى جهة. وقيل: نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه خاصة حين ذكر ذات يوم الجنة حين أزلفت والنار حين برزت؛ قاله عطاء وابن شوذب<sup>(٤)</sup>. وقال الضحاك: بل شرب ذات يوم لنا على ظمأ فأعجبه، فسأله عنه فأخبر أنه من غير حل فاستقاه ورسول الله ﷺ ينظر إليه، فقال: «رحمك الله لقد أنزلت فيك آية» وتلا عليه هذه الآية<sup>(٥)</sup>.

﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ ﴿فِي آيَةِ آيَةِ رَبِّكُمَا﴾  
﴿تَكْذِبَانِ﴾

(١) حسن إليهما: الطبري (١٥٢/٢٧) في تفسيره، وذكرها السيوطي في الدر (٦/٢٠٢) وعزاها لابن أبي شيبة وهناد وعبد بن حميد.

(٢) منقطع: بين علي بن أبي طلحة، وابن عباس - رضي الله عنهما: الطبري (١٥٢/٢٦) في تفسيره.

(٣) وجدته في الدر المنثور وعزا السيوطي (٦/٢٠٣) لابن مردويه، عن عياض بن تميم.

(٤) مرسل: ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢/٢٧٠)، ورواه أبو الشيخ في العظمة (١/٣٠٨)، وانظر: لباب النقول (ص٣٩٤) وذكر رواية ابن شوذب وعزاها لابن أبي حاتم، وفي السند إلى عطاء ولده عثمان بن عطاء -

الخراساني - وهو ضعيف، ضعفه الدارقطني وغيره. المعنى في الضعفاء (٢/٤٢٧).

(٥) مرسل: الضحاك لم يدرك أبا بكر - رضي الله عنه - ولم أفق عليه إلا هنا.

قوله تعالى: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ قال ابن عباس وغيره: أي ذواتا ألوان من الفاكهة الواحد فن (١). وقال مجاهد: الأفنان الأغصان واحدها فن (٢)، قال النابغة:

بكاء حمامة تدعو هديلاً  
مُفَجَّعةً على فننٍ تُغني

وقال آخر يصف طائرین:

باتا على غصنٍ بانٍ في ذرى فننٍ  
يرددان لحوناً ذات ألوانٍ

أراد باللحون اللغات. وقال آخر:

ما هاج شوقك من هديل حمامة  
تدعو أبا فرخين صادف ضارباً  
تدعو على فنن الغصون حماماً  
ذا مخلبين من الصقور قطاماً

والفن جمعه أفنان ثم الأفانين، وقال يصف رحي:

لها زمام من أفانين الشجر

وشجرة فناء، أي ذات أفنان وفنواء أيضاً على غير قياس. وفي الحديث: أن أهل الجنة مُردُّ مكحلون أولو أفانين (٣). يريد أولو فنن وهو جمع أفنان، وأفنان جمع فنن وهو الخصلة من الشعر شبه بالغصن. ذكره الهروي. وقيل: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ أي ذواتا سعة وفضل على ما سواهما، قاله قتادة وعن مجاهد أيضاً وعكرمة: إن الأفنان ظل الأغصان على الحيطان.

قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ أي في كل واحدة منهما عين جارية. قال ابن عباس: تجريان ماء بالزيادة والكرامة من الله تعالى على أهل الجنة (٤). وعن ابن عباس أيضاً والحسن: تجريان بالماء الزلال إحدى العينين التسليم والأخرى السلسيل (٥). وعنه أيضاً: عينان مثل الدنيا أضعافاً مضاعفة، حصباؤهما الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر، وتراهما الكافور، وحماتهما المسك الأذفر، وحافتاهما الزعفران (٦). وقال عطية: إحداهما من ماء غير آسن، والأخرى من خمر لذة للشاربين. وقيل: تجريان من جبل من مسك. وقال أبو بكر الوراق: فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله عز وجل.

﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ قَبَائِلُ الْآءِ رَبَّنَا تَكْذِبَانِ ﴿٢٧﴾ مُتَّكِنِينَ عَلَى فُرْشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانِ ﴿٢٨﴾ قَبَائِلُ الْآءِ رَبَّنَا تَكْذِبَانِ ﴿٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ أي صنفان وكلاهما حلو يستلذ به. قال ابن عباس: ما في الدنيا شجرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل إلا أنه حلو (٧). وقيل: ضربان رطب وبابس لا يقصر هذا عن ذلك في الفضل والطيب. وقيل: أراد تفضيل هاتين الجنتين على الجنتين

(١) ضعيف: الطبري (٢٧/ ١٥٤) في تفسيره، وفيه عطاء بن السائب وهو مختلط.

(٢) ضعيف: فيه ابن حميد في تفسيره وهو متهم، وفيه جهالة المحدث عن مجاهد، كما في تفسير الطبري (٢٧/ ١٥٤).

(٣) حسن: الترمذي (٢٥٣٩) في صفة الجنة، بدون ذكر الأفانين، وحسنه الألباني هناك، عن أبي هريرة، وذكره ابن الأثير (٣/ ٤٧٦) في النهاية.

(٤) (٦ - ٤) ذكرها البغوي (٧/ ٤٥٢) في تفسيره.

(٧) السابق (٧/ ٤٥٢).

اللتين دونهما، فإنه ذكرهما هنا عينين جاريتين، وذكر ثم عينين تنضحان بالماء والنضح دون الجري، فكأنه قال: في تينك الجنتين من كل فاكهة نوع، وفي هذه الجنة من كل فاكهة نوعان. قوله تعالى: ﴿مُتَكِينٍ عَلَىٰ فُرُشٍ﴾ هو نصب على الحال. والفرش جمع فراش. وقرأ أبو حيوة ﴿فُرُشٍ﴾ بإسكان الراء ﴿بَطَانَتَهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ جمع بطانة وهي التي تحت الظهارة، والإستبرق ما غلظ من الديباج وخشن، أي إذا كانت البطانة التي تلي الأرض هكذا فما ظنك بالظهارة، قاله ابن مسعود وأبو هريرة<sup>(١)</sup>. وقيل لسعيد بن جبير: البطائن من إستبرق فما الظواهر؟ قال: هذا مما قال الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾<sup>(٢)</sup> [السجدة: ١٧]. وقال ابن عباس: إنما وصف لكم بطانتها لتهتدي إليه قلوبكم، فأما الظواهر فلا يعلمها إلا الله<sup>(٣)</sup>. وفي الخبر عن النبي ﷺ أنه قال: «ظواهرها نور يتلأل»<sup>(٤)</sup>. وعن الحسن: بطانتها من إستبرق، وظواهرها من نور جامد<sup>(٥)</sup>. وعن الحسن أيضا: البطائن هي الظواهر<sup>(٦)</sup>، وهو قول الفراء، وروي عن قتادة<sup>(٧)</sup>. والعرب تقول للظهر: بطن، فيقولون: هذا ظهر السماء، وهذا بطن السماء، لظاهرها الذي نراه. وأنكر ابن قتيبة وغيره هذا، وقالوا: لا يكون هذا إلا في الوجهين المتساويين إذا ولي كل واحد منهما قوما، كالحائط بينك وبين قوم، وعلى ذلك أمر السماء. ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ الجنى ما يجتنى من الشجر، يقال: أنانا بجناة طيبة لكل ما يجتنى. وثمر جنى على فعيل حين جنى، وقال [عمرو بن عدي اللخمي]:

هَذَا جَنَائِي وَخِيَارِهِ فِيهِ إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَىٰ فِيهِ

وقرى «جنى» بكسر الجيم. ﴿دَانٍ﴾ قريب. قال ابن عباس: تدنو الشجرة حتى يجتنىها ولي الله إن شاء قائما وإن شاء قاعدا وإن شاء مضطجعا، لا يرد يده بعد ولا شوكة.

﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ أَنْفُسُهُنَّ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ قِبَائِيءَ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانَ﴾<sup>(٥٧)</sup>

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ قيل: في الجنتين المذكورتين. قال الزجاج: وإنما قال: ﴿فِيهِنَّ﴾ ولم يقل فيهما، لأنه عنى الجنتين وما أعد لصاحبهما من النعيم. وقيل: ﴿فِيهِنَّ﴾ يعود على الفرش التي بطانتها من إستبرق، أي في هذه الفرش ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ أي نساء قاصرات الطرف، قصرن أعينهن على أزواجهن فلا يرين غيرهم. وقد مضى في «والصافات»<sup>(٨)</sup>، ووجد الطرف مع الإضافة إلى الجمع لأنه في معنى المصدر، من طرفت عينه تطرف طرفًا، ثم سميت العين

(١) ذكره الطبري (٢٧/ ١٥٥) في تفسيره بسند ضعيف، عن ابن مسعود، فقد رواه عن هبيرة بن يريم، عابه بالثشيع ابن حجر وضعفه النسائي، وقال: ليس بالقوى، وذكره الطبري عن هبيرة مقطوعاً ولم أجده منسوباً لأبي هريرة إلا عند البغوي في تفسيره (٧/ ٤٥٣).

(٢) حسن: الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٥٥).

(٣) البغوي في تفسيره بنحوه (٧/ ٤٥٣).

(٤) سبق تضعيفه: انظر: الآلوسی (٨/ ٣٠٢، ٣٠٣)، وقال: «وهو إن صحَّ وقف عنده».

(٥-٧) البغوي في تفسيره (٧/ ٤٥٣).

(٨) عند الآية (٤٨).

بذلك فأدى عن الواحد والجمع، كقولهم: قوم عدلٌ وصومٌ.

الثانية: قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِئُنْ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ أي لم يصبهن بالجماع قبل أزواجهن هؤلاء أحد. الفراء: والطمث الافتضاض وهو النكاح بالتدمية، طَمَّهَا يَطْمِئُهَا وَيَطْمِئُهَا طَمًّا إذا افتضاه. ومنه قيل: امرأة طامث أي حائض. وغير الفراء يخالفه في هذا ويقول: طمئتها بمعنى وطئها على أي الوجه كان. إلا أن قول الفراء أعرف وأشهر. وقرأ الكسائي «لَمْ يَطْمِئُنْ» بضم الميم<sup>(١)</sup>، يقال: طمئت المرأة تَطْمُتُ بالضم حاضت. وطمئت بالكسر لغة فهي طامث، وقال الفرزدق:

وَقَعْنَ إِلَيَّ لَمْ يَطْمِئَنَّ قَبْلِي وَهَنَّ أَصْحَ مِنْ بِيضِ النَّعَامِ

وقيل: ﴿لَمْ يَطْمِئُنْ﴾ لم يمسهن، قال أبو عمرو: والطمث المس وذلك في كل شيء يمس ويقال للمرتع: ما طمئ ذلك المرتع قبلنا أحد، وما طمئ هذه الناقة جبل، أي ما مسها عقال. وقال المبرد: أي لم يدللهن إنس قبلهم ولا جان، والطمث التذليل. وقرأ الحسن «جَانٌّ» بالهمزة.

الثالثة: في هذه الآية دليل على أن الجن تغشى كالإنس، وتدخل الجنة ويكون لهم فيها جنيات. قال ضمرة<sup>(٢)</sup>: للمؤمنين منهم أزواج من الحور العين، فالإنسيات للإنس، والجنيات للجن. وقيل: أي لم يطمئ ما وهب الله للمؤمنين من الجن في الجنة من الحور العين من الجنيات جن، ولم يطمئ ما وهب الله للمؤمنين من الإنس في الجنة من الحور العين من الإنسيات إنس، وذلك لأن الجن لا تطأ بنات آدم في الدنيا. ذكره القشيري.

قلت: قد مضى في «النمل» القول في هذا<sup>(٣)</sup>، وفي «سبحان»<sup>(٤)</sup> أيضا، وأنه جازر أن تطأ بنات آدم. وقد قال مجاهد: إذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان على إحليله فجامع معه فذلك قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِئُنْ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾<sup>(٥)</sup>، وذلك بأن الله تبارك وتعالى وصف الحور العين بأنه لم يطمئهن إنس قبلهم ولا جان. يعلمك أن نساء آدميات قد يطمئهن الجان، وأن الحور العين قد برثن من هذا العيب ونزهن، والطمث الجماع. ذكره بكماله الترمذي الحكيم، وذكره المهدي أيضا والثعلبي وغيرهما والله أعلم.

﴿كَانْتَهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٢٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَانْتَهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ

(١) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص ١٧٨).

(٢) ذكره الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٥٧).

(٣) عند الآية (٤٤).

(٤) عند الآية (٦٤).

(٥) ضعيف جداً: فيه يحيى بن يعلى وهو ضعيف كما في التقريب (٧٦٧٧)، وفيه أيضاً سهب بن عامر وهو متهم بالكذب كما في الميزان، كذا عند الطبري (٢٧/ ١٥٧) في تفسيره، وزاد السيوطي في الدر (٦/ ٢٠٥) عزوه للترمذي الحكيم في نوادر الأصول، والبنغوي في تفسيره (٧/ ٤٥٤).

قال: « إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها » (١) وذلك بأن الله تعالى يقول: ﴿ كَانَهُنَّ أَيْاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لأريته من ورائه، ويروى موقوفاً. وقال عمرو بن ميمون: إن المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من وراء ذلك، كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجاة البيضاء (٢). وقال الحسن: هن في صفاء الياقوت، وبياض المرجان (٣).

قوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ ﴿ هَلْ ﴾ في الكلام على أربعة أوجه: تكون بمعنى « قد » كقوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ﴾ [الإنسان: ١] وبمعنى الاستفهام كقوله تعالى: ﴿ فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ﴾ [الأعراف: ٤٤] وبمعنى الأمر كقوله تعالى: ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١]، وبمعنى ما في الجحد كقوله تعالى: ﴿ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ [النحل: ٣٥]، و﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾. قال عكرمة: أي هل جزاء من قال: لا إله إلا الله إلا الجنة (٤). ابن عباس: ما جزاء من قال لا إله إلا الله وعمل بما جاء به محمد ﷺ إلا الجنة (٥). وقيل: هل جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يحسن إليه في الآخرة؛ قاله ابن زيد (٦). وروى أنس أن النبي ﷺ قرأ: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ ثم قال: « هل تدررون ماذا قال ربكم؟ » قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: « يقول ما جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة » (٧). وروى ابن عباس أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية فقال: « يقول الله: هل جزاء من أنعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي إلا أن أسكنه جنتي وحظيرة قدسي برحمتي » (٨). وقال الصادق: هل جزاء من أحسنت عليه في الأزل إلا حفظ الإحسان عليه في الأبد. وقال محمد ابن الحنفية والحسن: هي مسجلة للبر والفاجر، أي مرسله على الفاجر في الدنيا والبر في الآخرة.

﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ ﴿٣٦﴾ قِبَآئِ الْعَالَمِ رَبِّكَمَا ﴿٣٧﴾ مُدْهَامَاتَانِ ﴿٣٨﴾ قِبَآئِ الْعَالَمِ رَبِّكَمَا ﴿٣٩﴾ تَكْذِبَانَ ﴿٤٠﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ ﴾ أي وله من دون الجنتين الأولين جنتان أخريان. قال ابن

- (١) ضعيف: الترمذي (٢٥٣٣) في صفة الجنة وضعفه الألباني هناك .
- (٢) ضعيف: الطبري في تفسيره (١٥٨ / ٢٧) ، وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط، وهناد في الزهد (٩٧ / ١) ، وعبد الرزاق (٤١٤ / ١١) .
- (٣) حسن: الطبري في تفسيره (٥٨ / ٢٧) .
- (٤) عزاه السيوطي (٢٠٧ / ٦) في الدر لعبد بن حميد عن عكرمة .
- (٥) ضعيف: وسيأتي مرفوعاً ، وانظر ما بعد التالي .
- (٦) حسن: الطبري في تفسيره. (١٥٩ / ٢٧)
- (٧) ضعيف: البغوي (٤٥٦ / ٧) في تفسيره، وعزاه السيوطي (٢٠٧ / ٦) في الدر للدليمي، والترمذي الحكيم ، وفي إسناده البغوي: بشر بن الحسين الأصبهاني ، قال ابن حبان في المجروحين (١٩٠ / ١) : يروى عن الزبير ابن عدى بنسخة موضوعة « ، وانظر: الميزان (٣١٥ ، ٣١٦) .
- قلت : وقد سمع الزبير من أنس وهو الراوي عنه حديثاً واحداً كما في الميزان .
- (٨) ضعيف: السيوطي (٢٠٧ / ٦) وعزاه لابن مردويه وابن أبي حاتم وابن المنذر ، عن ابن عباس رضي الله عنهما .

عباس: ومن دونهما في الدرج (١). ابن زيد: ومن دونهما في الفضل (٢). ابن عباس: والجنتان لمن خاف مقام ربه، فيكون في الأولين النخل والشجر، منزلته، إحداهما للحدود العين، والأخرى للولدان المغلدين، لتمييز بهما الذكور عن الإناث. وقال ابن جريج: هي أربع: جنتان منها للسابقين المقربين ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٥٢]، و﴿عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن: ٥٠]، وجنتان لأصحاب اليمين ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨]، و﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٦]. وقال ابن زيد: إن الأولين من ذهب للمقربين، والآخرين من ورق لأصحاب اليمين (٣).

قلت: إلى هذا ذهب الحلبي أبو عبد الله الحسن بن الحسين في كتاب «منهاج الدين» له، واحتج بما رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٤٦] إلى قوله: ﴿مُدْهَامَاتٍ﴾ قال: تلك للمقربين، وهاتان لأصحاب اليمين. وعن أبي موسى الأشعري نحوه. ولما وصف الله الجنتين أشار إلى الفرق بينهما فقال في الأولين: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن: ٥٠] وفي الآخرين: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٦] أي فوارتان ولكنهما ليستا كالجاريتين لأن النضج دون الجري. وقال في الأولين: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن: ٥٢] فعم ولم يخص. وفي الآخرين: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨] ولم يقل: كل فاكهة، وقال في الأولين: ﴿مَتَكِينِ﴾ على فرش بطانها من إستبرق [الرحمن: ٥٤] وهو الديباج، وفي الآخرين: ﴿مَتَكِينِ عَلَى رُفُوفٍ خَضْرَاءَ وَعَبَقْرِي حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦] والعبقري الوشي، ولا شك أن الديباج أعلى من الوشي، والرفوف كسر الحباء، ولا شك أن الفرش المعدة للاتكاء عليها أفضل من فضل الحباء. وقال في الأولين في صفة الحور: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨]، وفي الآخرين: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠] وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان. وقال في الأولين: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٨] وفي الآخرين: ﴿مُدْهَامَاتٍ﴾ أي خضراوان كأنهما من شدة خضرتهما سوداوان، ووصف الأولين بكثرة الأغصان، والآخرين بالخضرة وحدها، وفي هذا كله تحقيق للمعنى الذي قصدنا بقوله: ﴿وَمَنْ دُونَهُمَا جَنَّاتٍ﴾ ولعل ما لم يذكر من تفاوت ما بينهما أكثر مما ذكر. فإن قيل: كيف لم يذكر أهل هاتين الجنتين كما ذكر أهل الجنتين الأولين؟ قيل: الجنان الأربع لمن خاف مقام ربه إلا أن الخائفين لهم مراتب، فالجنتان الأوليان لأعلى العباد رتبة في الخوف من الله تعالى، والجنتان الأخريان لمن قصرت حاله في الخوف من الله تعالى. ومذهب الضحاك: أن الجنتين الأوليين من ذهب وفضة، والآخرين من ياقوت وزمرد وهما أفضل من الأوليين، وقوله: ﴿وَمَنْ دُونَهُمَا جَنَّاتٍ﴾ أي من أمامهما ومن قبلهما. وإلى هذا القول ذهب أبو عبد الله الترمذي الحكيم في «نوادير الأصول» فقال: ومعنى ﴿وَمَنْ دُونَهُمَا جَنَّاتٍ﴾ أي دون هذا إلى العرش، أي أقرب وأدنى إلى العرش، وأخذ يفضلهما على الأوليين بما سنذكره عنه. وقال مقاتل: الجنتان الأوليان: جنة عدن، وجنة النعيم، والأخريان: جنة الفردوس، وجنة

(١) ضعيف إلى ابن عباس: فيه ابن أبي وهو سيء الحفظ، الطبري (٢٧/ ١٦٠) في تفسيره.

(٢) ضعيف: الطبري (٢٧/ ١٦٠) في تفسيره، ورواه البيهقي في الشعب والبخاري في الأدب كما في الدر (٦/ ٢٠٨) للسيوطي.

(٣) ابن كثير في تفسيره (٧/ ٣٨٧).

(١) المأوى .

قوله تعالى: ﴿مُدْهَامَاتَانِ﴾ أي خضراوان من الري؛ قاله ابن عباس وغيره (٢). وقال مجاهد: مسودتان (٣). والدممة في اللغة السواد، يقال: فرس أدهم وبعبير أدهم وناقعة دهما أي اشتدت زرقته حتى ذهب البياض الذي فيه، فإن زاد على ذلك حتى اشتد السواد فهو جَوْنٌ. وادهم الفرس ادهماما أي صار أدهم. وادهام الشيء ادهيما أي اسواد، قال الله تعالى: ﴿مُدْهَامَاتَانِ﴾ أي سوداوان من شدة الخضرة من الري، والعرب تقول لكل أخضر: أسود. وقال لبيد يرثي قتلى هوازن:

وجاؤوا به في هودجٍ ووراءهُ  
ككتائبِ خضُرٍ في نسيجِ السنورِ

السنورُ: لبوس من قد كالدرع. وسميت قرى العراق سوادا لكثرة خضرتها. ويقال للليل المظلم: أخضر، ويقال: أباد الله خضراءهم أي سوادهم.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَاحَتَانِ ﴿١٦٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦٧﴾ فِيهِمَا فَكَاهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿١٦٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَاحَتَانِ﴾ أي فوارتان بالماء، عن ابن عباس (٤). والنضح بالخاء أكثر من النضح بالحاء. وعنه أن المعنى نضاحتان بالخير والبركة، وقاله الحسن ومجاهد (٥). ابن مسعود وابن عباس أيضا وأنس: تنضح على أولياء الله بالمسك والعنبر والكافور في دور أهل الجنة كما ينضح رش المطر (٦). وقال سعيد بن جبيرة: بأنواع الفواكه والماء (٧). الترمذي: قالوا بأنواع الفواكه والنعم والجواري المزينات والدواب المسرجات والثياب الملونات. قال الترمذي: وهذا يدل على أن النضح أكثر من الجري. وقيل: تنعان ثم تجريان.

قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَكَاهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿١٦٨﴾﴾ .

فيه مسألتان:

الأولى: قال بعض العلماء: ليس الرمان والنخل من الفاكهة، لأن الشيء لا يعطف على نفسه إنما يعطف على غيره وهذا ظاهر الكلام. وقال الجمهور: هما من الفاكهة وإنما أعاد ذكر النخل والرمان لفضلهما وحسن موقعهما على الفاكهة، كقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقوله: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [البقرة: ٩٨] وقد تقدم. وقيل: إنما كرره لأن النخل والرمان كانا عندهم في ذلك الوقت بمنزلة البر عندنا، لأن النخل عامة قوتهم،

(١) كذا قال ابن كثير في تفسيره مراعاة لسياق النص (٣٨٧/٧).

(٢) ضعيف: فيه عطاء بن السائب وقد اختلط. الطبري (٢٧/١٦١) في تفسيره، وعزاه السيوطي في الدر لابن المنذر (٦/٢٠٨)، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وفي إسناده آخر: الحسين الأشقر وهو شيعي.

(٣) صحيح إلى مجاهد: الطبري في تفسيره (٢٧/١٦١).

(٤) منقطع: بين علي بن أبي طلحة، وابن عباس - رضي الله عنهما - كما عند الطبري (٢٧/١٦٢) في تفسيره.

(٥) ضعيف إلى ابن عباس: الطبري (٢٧/١٦٢) في تفسيره من طريق العوفيين؛ ولذا رواه عن سعيد بن جبيرة، والبغوي (٧/٤٥٧) في تفسيره.

(٦) البغوي في تفسيره (٧/٤٥٧).

(٧) ضعيف: انظر: السابق (٧/٤٥٧)، والطبري (٢٧/١٦٣) في تفسيره، وهو ضعيف إلى سعيد.

والرمان كالثمرات، فكان يكثر غرسهما عندهم لحاجتهم إليهما، وكانت الفواكه عندهم من ألوان الثمار التي يعجبون بها، فإثما ذكر الفاكهة ثم ذكر النخل والرمان لعمومهما وكثرتهما عندهم من المدينة إلى مكة إلى ما والاها من أرض اليمن، فأخرجهما في الذكر من الفواكه وأفرد الفواكه على حديثها. وقيل: أفردا بالذكر لأن النخل ثمره فاكهة وطعام، والرمان فاكهة ودواء، فلم يخلصا للتفكه، ومنه قال أبو حنيفة - رحمه الله - وهي المسألة:

الثانية: إذا حلف ألا يأكل فاكهة فأكل رمانا أو رطبا لم يحنث. وخالفه أصحابه والناس. قال ابن عباس: الرمانة في الجنة مثل البعير المقتب<sup>(١)</sup>. وذكر ابن المبارك قال: أخبرنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر، وكرانيفها ذهب أحمر، وسعفها كسوة لأهل الجنة، منها مَقَطَعَاتُهُمْ وحُلَلُهُمْ، وثمرها أمثال القلال والدلاء، أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، ليس فيه عجم<sup>(٢)</sup>. قال: وحدثنا المسعودي عن عمرو ابن مرة عن أبي عبيدة، قال: نخل الجنة نضيد من أصلها إلى فرعها، وثمرها أمثال القلال كلما نزلت ثمرة عادت مكانها أخرى، وإن ماءها ليجري في غير أخدود، والعنقود اثنا عشر ذراعا<sup>(٣)</sup>.

### ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ ﴿٣٦﴾ قِبَائِيءَ الْآءِ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿٣٧﴾ ﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ ﴾ يعني النساء الواحدة خيرة على معنى ذوات خير. قيل: ﴿ خَيْرَاتٌ ﴾ بمعنى خيرات فخفف، كهين ولين. ابن المبارك: حدثنا الأوزاعي عن حسان بن عطية عن سعيد بن عامر قال: لو أن خيرة من ﴿ خَيْرَاتٍ حَسَنَاتٍ ﴾ اطلعت من السماء لأضاءت لها، ولقهر ضوء وجهها الشمس والقمر، ولنضيف تكساه خيرة خير من الدنيا وما فيها. ﴿ حَسَنَاتٌ ﴾ أي حسان الخلق، إذا قال الله تعالى: ﴿ حَسَنَاتٌ ﴾ فمن ذا الذي يقدر أن يصف حسنهن<sup>(٤)</sup>! وقال الزهري وفتادة: ﴿ خَيْرَاتٌ ﴾ الأخلاق ﴿ حَسَنَاتٌ ﴾ الوجوه<sup>(٥)</sup>. وروي ذلك عن النبي ﷺ من حديث أم سلمة<sup>(٦)</sup>. وقال أبو صالح: لأنهن عذارى أ بكرار.

وقرأ قتادة وابن السميعة وأبو رجاء العطاردي وبكر بن حبيب السهمي «خَيْرَاتٌ» بالتشديد على الأصل. وقد قيل: إن خيرات جمع خَيْرٍ والمعنى ذوات خير. وقيل: مختارات. قال الترمذي: فالخيرات ما اختارهن الله فأبدع خلقهن باختياره، فاختيار الله لا يشبه اختيار آدميين. ثم قال: ﴿ حَسَنَاتٌ ﴾ فوصفهن بالحسن فإذا وصف خالق الحسن شيئا بالحسن فانظر ما هناك. وفي الأوليين ذكر بأنهن ﴿ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾ [الرحمن: ٥٦]، و﴿ كَانَهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن: ٥٨] فانظر كم بين

(١) ضعيف: رواه ابن كثير في تفسيره (٧/ ٣٨٨)، عن أبي سعيد مرفوعاً، وفيه أبو هارون العبدى، كذبه بعضهم.

(٢) رجاله ثقات: ابن المبارك في الزهد (٤/ ٢٩٠)، وجوده المنذري في الترغيب والترهيب، وعزاه لابن أبي

الدنيا، وهذا في حكم المرفوع.

(٣) حسن: رغم تخليط المسعودي، ويشهد له السابق.

(٤) حسن: ابن المبارك في الجهاد (١/ ٤٠)، وفي الزهد (١/ ٧٤).

(٥) صحيح إلى قتادة: الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٦٤).

(٦) ضعيف: الطبراني (٢٣/ ٣٦٧) في الكبير، وفي سليمان بن أبي كريمة: ضعيف، والطبري في تفسيره (٢٧/ ١٦٤).

الخيرة وهي مختارة الله، وبين قاصرات الطرف. وفي الحديث: «إن الحور العين يأخذ بعضهن بأيدي بعض ويتغنين بأصوات لم تسمع الخلائق بأحسن منها ولا بمثلها: نحن الراضيات فلا نسخط أبدا ونحن المقيمات فلا نظعن أبدا ونحن الخالدات فلا نموت أبدا، ونحن الناعمات فلا نبأس أبدا، ونحن خيرات حسان حبيبات لأزواج كرام». خروجه الترمذي بمعناه من حديث علي رضي الله عنه<sup>(١)</sup>. وقالت عائشة رضي الله عنها: إن الحور العين إذا قلن هذه المقالة أجابهن المؤمنات من نساء أهل الدنيا: نحن المصليات وما صليتن، ونحن الصائمات وما صمتن، ونحن المتوضئات وما توضأتن، ونحن المتصدقات وما تصدقتن. فقالت عائشة رضي الله عنها: فغلبنهن والله.

الثانية: واختلف: أيهما أكثر حسنا وأبهر جمالا الحور أو الآدميات؟ فقيل: الحور لما ذكر من وصفهن في القرآن والسنة، ولقوله عليه الصلاة والسلام في دعائه على الميت في الجنائز: «وأبدله زوجا خيرا من وزجه»<sup>(٢)</sup>. وقيل: الآدميات أفضل من الحور العين بسبعين ألف ضعف، وروي مرفوعا. وذكر ابن المبارك: وأخبرنا رشدين عن ابن أنعم عن حيان بن أبي جبلة، قال: إن نساء الدنيا من دخل منهن الجنة فضلن على الحور العين بما عملن في الدنيا<sup>(٣)</sup>. وقد قيل: إن الحور العين المذكورات في القرآن هن المؤمنات من أزواج النبيين والمؤمنين يخلقن في الآخرة على أحسن صورة؛ قاله الحسن البصري. والمشهور أن الحور العين لسن من نساء أهل الدنيا وإنما هن مخلوقات في الجنة، لأن الله تعالى قال: ﴿لَمْ يَطْمِئِنُّنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ وأكثر نساء أهل الدنيا مطموثات، ولأن النبي ﷺ قال: «إن أقل ساكني الجنة النساء»<sup>(٤)</sup> فلا يصيب كل واحد منهم امرأة، ووعد الحور العين لجماعتهم، فثبت أنهن من غير نساء الدنيا.

﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ لَمْ يَطْمِئِنُّنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ ﴿ حُورٌ ﴾ جمع حوراء، وهي الشديدة بياض العين الشديدة سوادها وقد تقدم. ﴿ مَّقْصُورَاتٌ ﴾ محبوسات مستورات ﴿ فِي الْخِيَامِ ﴾ في الحجال لسن بالطوافات في الطرق؛ قاله ابن عباس<sup>(٥)</sup>. وقال عمر رضي الله عنه: الخيمة درة مجوفة. وقاله ابن عباس<sup>(٦)</sup>. وقال: هي فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب. وقال الترمذي الحكيم أبو عبد الله في قوله تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾: بلغنا في الرواية أن سحابة أمطرت من العرش فخلقت الحور من قطرات الرحمة، ثم ضرب على كل واحدة منهن خيمة على شاطئ الأنهار سعتها

(١) ضعيف: الترمذي (٢٥٦٤) في صفة الجنة، عن علي - رضي الله عنه - وضعفه الألباني هناك.

(٢) صحيح: وقد سبق.

(٣) ضعيف جداً: فيه رشدين وهو ضعيف، وابن أنعم قاضي إفريقيًا وهو عبد الرحمن بن زياد كذلك كان ضعيفاً

ابن المبارك في الزهد (١/ ٧٢)، وهناد في الزهد (١/ ٥٧، ٥٨) من طريق ابن أنعم به.

(٤) صحيح: وقد سبق.

(٥) حسن بنحوه: الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٦٦).

(٦) صحيح: السابق (٢٧/ ١٦٧)، من طريق عكرمة به.

أربعون ميلا وليس لها باب، حتى إذا دخل ولي الله الجنة انصدعت الخيمة عن باب ليعلم ولي الله أن أبصار المخلوقين من الملائكة والخدم لم تأخذها، فهي مقصورة قد قصر بها عن أبصار المخلوقين . والله أعلم . وقال في الأولين: ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾ [الرحمن: ٥٦] قصرن طرفهن على الأزواج ولم يذكر أنهن مقصورات، فدل على أن المقصورات أعلى وأفضل . وقال مجاهد: ﴿ مَقْصُورَاتٌ ﴾ قد قصرن على أزواجهن فلا يردن بدلا منهم (١) . وفي الصحاح: وقصرت الشيء أفصره فقصرا حبسته، ومنه مقصورة الجامع، وقصرت الشيء على كذا إذا لم تجاوز إلى غيره، وامرأة قصيرة وقصورة أي مقصورة في البيت لا تترك أن تخرج، قال كثير:

وأنت التي حببت كل قصيرة  
عني قصيرات الحجال ولم أرد  
إلي وما تدري بذلك القصاصر  
قصار الخطأ شر النساء البحائر

وأنشده الفراء قصورة ، ذكره ابن السكيت . وروى أنس قال: قال النبي ﷺ: « مررت ليلة أسري بي في الجنة بنهر حافتاه قباب المرجان فنوديت منه: السلام عليك يا رسول الله ، فقلت: يا جبريل من هؤلاء ؟ قال: هؤلاء جوار من الحور العين استأذن ربهن في أن يسلمن عليك فأذن لهن فقلن: نحن الخالدات فلا نموت أبدا ، ونحن الناعمات فلا نبأس أبدا ، ونحن الراضيات فلا نسخط أبدا أزواج رجال كرام » ثم قرأ النبي ﷺ ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ (٢) ، أي محبوسات حبس صيانة وتكرمة . وروي عن أسماء بنت يزيد الأشهلية أنها أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إنا معشر النساء محصورات مقصورات، قواعد بيوتكم وحوامل أولادكم، فهل نشارككم في الأجر؟ فقال النبي ﷺ: « نعم إذا أحسنن تبعل أزواجكن وطلبتن مرضاتهن » (٣) .

قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَطْمِئُنْ ﴾ أي لم يمسهن على ما تقدم قبل . وقراءة العامة: ﴿ يَطْمِئُنْ ﴾ بكسر الميم ، وقرأ أبو حيو الشامي وطلحة بن مصرف والأعرج والشيرازي عن الكسائي بضم الميم في الحرفين (٤) . وكان الكسائي يكسر إحداهما ويضم الأخرى ويخير في ذلك، فإذا رفع الأولى كسر الثانية وإذا كسر الأولى رفع الثانية . وهي قراءة أبي إسحاق السبيعي . قال أبو إسحاق: كنت أصلي خلف أصحاب علي فيرفعون الميم، وكنت أصلي خلف أصحاب عبد الله فيكسرونها، فاستعمل الكسائي الأثرين . وهما لغتان طمّث وطمّث مثل يعرّشون ويعكفون، فمن ضم فللجمع بين اللغتين، ومن كسر فلأنها اللغة السائدة . وإنما أعاد قوله: ﴿ لَمْ يَطْمِئُنْ ﴾ ، ليبين أن صفة الحور المقصورات في الخيام كصفة الحور القاصرات الطرف . يقول: إذا قصرن كانت لهن الخيام في تلك الحال .

﴿ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَفْرِفٍ خُضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٥٥﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَّبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٥٦﴾ تَبَرَّكَ أَسْمُرُتَكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٥٧﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَفْرِفٍ خُضِرٍ ﴾ الرفرف: المحابس (٥) . وقال ابن عباس: الرفرف: فضول

(١) حسن إلى مجاهد: الطبري (٢٧ / ١٦٥) في تفسيره .

(٢) ضعيف : وقد سبق .

(٣) هذا لفظ ابن الأثير (١ / ١٤١) في النهاية . (٤) قراءة متواترة : تقريب النشر (ص ١٧٨) .

(٥) المحابس : جمع محبس، والمحبس: الستر يوضع على الفراش للنوم عليه . اللسان « حبس » .

الفرش والبسط<sup>(١)</sup>. وعنه أيضا: الرفرف المحابس يتكثون على فضولها<sup>(٢)</sup>، وقاله قتادة. وقال الحسن والقرظي: هي البسط<sup>(٣)</sup>. وقال ابن عيينة: هي الزرابي. وقال ابن كيسان: هي المرفق؛ وقاله الحسن أيضا. وقال أبو عبيدة: هي حاشية الثوب. وقال ابن كيسان: هي المرافق تبسط. وقيل: الفرش المرتفعة. وقيل: كل ثوب عريض عند العرب فهو مرفرف. قال ابن مقبل:

وإِنَّا لَنَرَالُونَ تَغَشَى نِعَالَنَا  
سَوَاقِطَ مِنْ أَصْنَافِ رَيْطٍ وَرَفْرِفٍ

وهذه أقوال متقاربة. وفي الصحاح: والرفرف ثياب خضمر تتخذ منها المحابس، الواحدة رفرفة. وقال سعيد بن جبير وابن عباس أيضا: الرفرف رياض الجنة<sup>(٤)</sup>، واشتقاق الرفرف من رَفَّ يَرِفُّ إذا ارتفع، ومنه رفرقة الطائر لتحريكه جناحيه في الهواء. وربما سموا الظلميم رفرفا بذلك، لأنه يرفرف بجناحيه ثم يعدو. ورفرف الطائر أيضا إذا حرك جناحيه حول الشيء يريد أن يقع عليه. والرفرف أيضا كسر الخباء وجوانب الدرِّع وما تدلى منها، الواحد رفرفة. وفي الخبر في وفاة النبي ﷺ: فرفع الرفرف فرأينا وجهه كأنه ورقة تُخَشَّشُ أي رفع طرف الفسطاط<sup>(٥)</sup>. وقيل: أصل الرفرف من رَفَّ النبت يَرِفُّ إذا صار غضًّا نضيرا، حكاه الثعلبي. وقال القتبي: يقال للشيء إذا كثر ماؤه من النعمة والغضاضة حتى كاد يهتز: رَفَّ يَرِفُّ رَفِيفًا، حكاه الهروي. وقد قيل: إن الرفرف شيء إذا استوى عليه صاحبه رفررف به وأهوى به كالمرجاح يمينا وشمالا ورفعا وخفضا يتلذذ به مع أنسيته، قاله الترمذي الحكيم في «نوادير الأصول» وقد ذكرناه في «التذكرة». قال الترمذي: فالرفرف أعظم خطرا من الفرش فذكره في الأولين ﴿مُتَكِّينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَّانِيهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]، وقال هنا: ﴿مُتَكِّينَ عَلَى رَفْرِفٍ خُضْرٍ﴾ فالرفرف هو شيء إذا استوى عليه الولي رفررف به، أي طار به هكذا وهكذا حيث ما يريد كالمرجاح، وأصله من رفررف بين يدي الله عز وجل، روي لنا في حديث المعراج أن رسول الله ﷺ لما بلغ سدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله من جبريل وطار به إلى مسند العرش، فذكر أنه قال: «طار بي يخفضني ويرفعني حتى وقف بي بين يدي ربي»<sup>(٦)</sup>، ثم لما حان الانصراف تناول فطَّارَ به خفضا ورفعا يهوي به حتى أداه إلى جبريل - صلوات الله وسلامه عليه - وجبريل يبكي ويرفع صوته بالتحميد، فالرفرف خَادِمٌ مِنَ الْحَدَمِ بين يدي الله تعالى له خواص الأمور في محل الدنو والقرب، كما أن البراق دابة يركبها الأنبياء مخصوصة بذلك في أرضه، فهذا الرفرف الذي سخره الله لأهل الجنة الدانيتين هو متكأهما وفرشهما، يرفرف بالولي على حافات تلك الأنهار وشطوطها حيث شاء إلى خيام أزواجه الخيرات الحسان. ثم قال: ﴿وَعِبْقَرِي حَسَانٍ﴾ فالعبقري ثياب منقوشة تبسط، فإذا قال خالق النقوش: إنها حسان فما ظنك بتلك العباقر!

(١) ضعيف جداً: الطبري (١٦٥/٢٧) في تفسيره، من طريق العوفيين.

(٢) منقطع: السابق (١٧٠/٢٧) عن علي بن أبي طلحة.

(٣) البغوي (٤٥٨/٧) في تفسيره.

(٤) ذكره الطبري (١٦٩/٢٧) في تفسيره من طريق سعيد بن جبير.

(٥) كذا في النهاية (٢/٢٤٢) لابن الأثير.

(٦) ضعيف: وقد سبق.

وقرأ عثمان رضي الله عنه والجدري والحسن وغيرهم « متكتين على رفارف » بالجمع غير مصروف كذلك ﴿وَعَبْقَرِيَّ حَسَانَ﴾ جمع رفر ف وعبقري . و﴿رَفْرَفٍ﴾ اسم للجمع و﴿وَعَبْقَرِيَّ﴾ واحد يدل على الجمع المنسوب إلى عبقر . وقد قيل : إن واحد رفر ف وعبقري رفرقة وعبقرية ، والرفارف والعباقر جمع الجمع . والعبقري الطنافس الشخان منها ؛ قاله الفراء . وقيل : الزرابي ، عن ابن عباس وغيره <sup>(١)</sup> . الحسن : هي البسط <sup>(٢)</sup> . مجاهد : الديقاج <sup>(٣)</sup> . القتيبي : كل ثوب وشي عند العرب عبقري . قال أبو عبيد : هو منسوب إلى أرض يعمل فيها الوشي فينسب إليها كل وشي حبك . قال ذو الرمة :

حتى كأن رياضَ الفُفِّ ألبسها من وشي عبقرٍ تجليلٌ وتنجيدٌ

ويقال : عبقرٌ : قرية بناحية اليمن تنسج فيها بسط منقوشة . وقال ابن الأنباري : إن الأصل فيه أن عبقر قرية يسكنها الجن ينسب إليها كل فائق جليل . وقال الخليل : كل جليل نانس فاضل وفاخر من الرجال والنساء وغيرهم عند العرب عبقري . ومنه قول النبي ﷺ في عمر رضي الله عنه : « فلم أر عبقريا من الناس يفري فريه » <sup>(٤)</sup> ، وقال أبو عمرو بن العلاء وقد مثل عن قوله ﷺ : « فلم أر عبقريا يفري فريه » فقال : رئيس قوم وجليههم . وقال زهير :

بِخَيْلٍ عَلَيْهَا جِنَّةٌ عَبْقَرِيَّةٌ جَدِيرُونَ يَوْمًا أَنْ يَنَالُوا فَيَسْتَعْلُوا

وقال الجوهري : العبقرى موضع تزعم العرب أنه من أرض الجن . قال لبيد :

كُهُولٌ وَشَبَّانٌ كَجِنَّةِ عَبْقَرٍ

ثم نسبوا إليه كل شيء يعجبون من حذقه وجودة صنعته وقوته فقالوا : عبقري وهو واحد وجمع . وفي الحديث : « إنه كان يسجد على عبقري » <sup>(٥)</sup> وهو هذه البسط التي فيها الأصباغ والنقوش حتى قالوا : ظلم عبقري وهذا عبقري قوم للرجل القوي . وفي الحديث : « فلم أر عبقريا يفري فريه » ثم خاطبهم الله بما تعارفوه فقال : ﴿وَعَبْقَرِيَّ حَسَانَ﴾ وقرأه بعضهم « وعباقرى » وهو خطأ لأن المنسوب لا يجمع على نسبه ، وقال قطرب : ليس بمنسوب وهو مثل كُرسي وكُراسي ويُختي ويختاتي . وروى أبو بكر أن رسول الله ﷺ قرأ « متكتين على رفارف خضر وعباقر حسان » <sup>(٦)</sup> ذكره الثعلبي . وضم الضاد من « خضر » قليل .

قوله تعالى : ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ﴿تَبَارَكَ﴾ تفاعل من البركة وقد تقدم . ﴿ذِي الْجَلَالِ﴾ أي العظمة . وقد تقدم ﴿وَالْإِكْرَامِ﴾ ، وقرأ عامر « ذو الجلال » بالواو <sup>(٧)</sup> وجعله وصفا

(١) ضعيف : الطبري (١٧١ / ٢٧) في تفسيره منقطعاً ، عن علي بن أبي طلحة ، وضعيفاً من طريق العوفيين .

(٢) ابن كثير في تفسيره (٣٨٩ / ٧) .

(٣) ضعيف من طريق الطبري : الطبري (١٧١ / ٢٧) في تفسيره ، والبغوي (٤٥٩ / ٧) .

(٤) متفق عليه : البخاري (٣٦٦٤) في فضائل أصحاب النبي ﷺ ، ومسلم (٢٣٩٢) في فضائل الصحابة رضي الله

تعالى عنهم ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه .

(٥) كذا في النهاية (١٧٣ / ٣) لابن الأثير .

(٦) ضعيف : الحاكم في المستدرک منقطعاً (٢٩٨٦) فإن الجوزي لم يدرك أبا بكر - رضي الله عنه .

(٧) قراءة متواترة : كما في تقريب النشر (ص ١٧٨) .

للاسم، وذلك تقوية لكون الاسم هو المسمى. الباقون: ﴿ذِي الْجَلَالِ﴾ جعلوا ﴿ذِي﴾ صفة لـ ﴿رَبِّكَ﴾. وكأنه يريد به الاسم الذي افتتح به السورة، فقال: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ [الرحمن: ١] فافتتح بهذا الاسم، فوصف خلق الإنسان والجن، وخلق السموات والأرض وصنعه، وأنه ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] ووصف تدبيره فيهم، ثم وصف يوم القيامة وأهوالها وصفة النار، ثم ختمها بصفة الجنان. ثم قال في آخر السورة: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ أي هذا الاسم الذي افتتح به هذه السورة، كأنه يعلمهم أن هذا كله خرج لكم من رحمتي، فمن رحمتي خلقتكم وخلقتم لكم السماء والأرض والخلق والخلقة والجنة والنار، فهذا كله لكم من اسم الرحمن، فمدح اسمه ثم قال: ﴿ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ جليل في ذاته، كريم في أفعاله. ولم يختلف القراء في إجراء النعت على الوجه بالرفع في أول السورة، وهو يدل على أن المراد به وجه الله الذي يلقي المؤمنون عندما ينظرون إليه، فيستبشرون بحسن الجزاء، وجميل اللقاء، وحسن العطاء. والله أعلم.